القناع

رواية

وليد شعراوي محمود

القناع

إهداء

عندمـا أبـدأ دومـا بكتابـة أي عمـل أدبـي أقف في منتصفـه رافعا رايـة عـدم التكملة ولكنهـا وحدها تدفعني دفعا للمواصلة وأسـتكمال ما كتبت وتيسير كل العقبـات أمامي فأليها أهـدي روايتي الأولى ولها مني كل التقدير والاحترام

لو كان قلبي معي ما اخترت غيركم
ولا رضيت سواكم في الهوى بدلاً

شكرا زوجتي الحبيبة.

شكر وتقدير

- الى تلك الروح التي سكنت بي وألهمتني بدعمها لأستكمال كتابة صفحات هذه الرواية ...
- الى ذلك الشاب الصامت الذي يقابلني كل يوم ولا زلت إلى هذه اللحظة أتشوق لمعرفة سر صمته ...
- الى كل من دعم قلمي وساهم بنقده لكي يخرج هذا العمل الأدبي أستاذتي سحر نعمة الله وأستاذي د. أحمد السعيد مراد وأستاذي عمر سليمان والدكتورة منى سلامة فلقد كان لنقدهم بالغ الأهمية في التقويم ولتشجيعهم لي بالغ الأثر في التطوير ....

وليد شعراوي

تمهيد

تعالى صوت ارتطام الأمواج وتتابعها في عنف فأخذ يفرق شـدتها بقـوة ذراعيه يبحث عن صورتهـا التي كانت أمامه يشـق طريقه بين الأمواج قاذفا بها خلف ظهره بقوة فتتمايل يمينا ويسارًا وما أن يقترب منها ويمد يده ليتشـبث بها تفر منـه هاربة اضطربت دقات قلبه وعلا صوت لهاثه وأنفاسه المتهدجة التي تصمّ الآذان وهو يحاول من جديد كطفـل لا يمّل الحصول على مبتغاه بالبكاء تارة وبالزحف تارة أخرى أيقن أن صورتها التي أمامه ما هي إلا سـراب أوهمه جفاف قلبه الذي يضاهي جفاف أرض متشـققة تشـتاق إلى قطرة مـاء لتروي ظمأها ورغـم ذلك لـم ييأس من الحصـول عليها معلنا العصيـان على الآلام التي بدأت تدبُّ في أوصاله تمزقها وتنهش في ذراعيه ولأن لكل إنسان طاقـة مهما بدا قويا فإن جسـده رفع راية الاستسـلام وهو مازال في عمق المحيط.

حـاول المقاومة باسـتماتة يتشـبث بأمـل النجاة، لكـن مع نقص الأكسـجين أحس بأن رئتيه تضيقان وكأنهما على وشـك الانفجار بدا لـه التنفس صعبا كصعوبـة تحريك جبل من مكانه في أشـد لحظات الضعـف فلجأ للحل الأسـهل بعد أن فقـد الرغبة في الحيـاة وتهاوى جسده ليسقط في القاع مستسلما لكل آلامه وأحزانه، فكرة واحدة تلح عليـه وتطرق بمطرقة حديدية على قلبه لتزيد من أوجاعه أمن الممكن

الفصل الأول
ذكريات ماضٍ أليم

أن يفارق الحياة قبل أن تعرف؟! قبل أن تصفح؟!

ورغما عنه ابتسم لسخرية القدر وهز رأسه ببطء وهو يسبل جفنيه ليظل طيف صورتها يعانق عينيه.

ولكن في هذه اللحظة تدافعت أيادٍ أخرى لتنتشله مما هو فيه فحملته وشقت طريقها كالغواصة لتعلو رويدا .. رويدا حتى أصبح على سطح البحر، وذاك الشـخص الذي أنقذه يلهـث بقوة من فرط المجهود الذي بذله، مرّ القليل من الوقت حتى استرد وعيه فوجد صديقيه أمامه.

اسـترد وعيه واستفاق، لكنه لا يسـتطيع أن يملك قلبها ويصارحها بحقيقة نفسـه ومن يكون، فضّل أن يظل مستسـلما للحقيقة المطلقة ممنيًا نفسـه بالخيـال والأحلام التي تراوده من حيـن لآخر وبدأ يدون سؤاله الأخير على صفحته.

- **«ما فائدة الحياة بلا أمل؟»**
- **«ما فائدة الحياة بلا سعادة؟»**

عندما تسمع كلمة ماضٍ تُيقن أنه ذلك النجاح الذي تشتاق لتكراره

وربما في بعض الاستثناءات يكون ذلك الفشل الذي تتمنى نسيانه

يحمل الصباح العديد من البسمات والبشرة، صورة ساحرة تتخللها أشــعة الشــمس الســاطعة، تتحرك برونقها وبريقهــا لتعكس ملحمة فريدة من نوعها، يظهر مع أشعتها الأمل والتفاؤل.

نظــر إلى الأعلى لكل هذه المظاهر الجميلة، لكنها لم تشــفع لتغير حالتــه المزاجية أو تهيئة بنيانه كي يتقبــل الحياة كما يليق بها، يعمل ليــلا ولا يتحدث، يحمل من الهموم الكثير والكثير حتى ألجمت لســانه عــن النطق، هو لم يتعد الخمســين من عمره بعد ولكــن همومه أثقلته عمرا على عمره، فمن ينظر إليه يتوقع قرب نهايته.

يكتــم كل همومــه في نفســه، اعتاد علــى ارتداء زي رســمي واحد تتبادل عليه فقط أشــعة الشــمس وضوء القمر، اختار لنفسه أن يعمل بالفترة المسائية يذهب بصحبة ضوء القمر إلى عمله ويرحل مع طلوع الشمس، حالة مزاجية خاصة تعمل ليلا وينفرد بنفسه نهارا.

حاول زملاؤه التقرب منه في العمل لمعرفة أســرار هذه الشخصية ،ويقطعون حالة الحيرة التي تنتابهم من صمته ،وأمام تجاهله لنظراتهم المستفسرة يظلُّ فضول أسئلتهم يحيطه ، والعجيب في بعض الأحيان يتطاول الأمر ويصل للشجار و الأعجب من ذلك استسلامه لصفعاتهم وكأنهم يســتفزون صمته ليتمــرد على حالة الكمود المســيطرة عليه،

كمن يقول لهم عجلـوا بهلاكي ورحيلي فالموت راحة لأمثالي من غباء وتطفل أمثالكم، لم تشفع أشعة الشمس بشعاعها أو ضوء القمر بعشقه أو حديث زملائه في العمل أن تنتشله من حالته تلك ،ما زال يحمل في طيات نفســه العديد من الهموم ولا يريد تفريغها،أو ربما يحمل العديد من العهود لم يستطع الوفاء بها.

وقفت أنظــر إليه حائرا متعجبا فهو يقابلنــي كل صباح ألقي عليه السلام ويتجاهلني، ألطفه بابتسامة وكأنها والعدم سواء.

تذكـرت قـول كونفـو شـيوس « إن أقصر مسـافة بيـن اثنين هي الضحك» وأضع هذه المقولة أمامي دوماً كقاعدة في معاملاتي اليومية مع الآخرين، لكن بالطبع لكل قاعدة اسـتثناء فكان الاسـتثناء هو سـر صمت هذا الرجل الذي فقد الإحسـاس والتعايش وربما فقد معه عقله، لا أدري لمَ أظن فيه هذا ؟!

رغـم أنـه لا يـزال يعمـل ويكّـد ولا يضعـف، يسـير ولا يتحدث، ومـع كل مـا يحملـه مـن همـوم المرسـومة علـى تقاسـيم وجهـه إلا أنـه لـم ينتحـر حتـى الآن، حالـة اكتئابـه مؤشـر واضـح للإقـدام علـى الانتحـار، فربمـا انتحـر ممـن هـم بمثـل حالـه. قابلت صديقي وأنا أتأمل ملامح الرجل فنظر إليّ مبتسما وأشار:

- أتدري ما سر صمت هذا الرجل؟!

دقت امـرأة في منتصف العمر الجرس معلنة انتهاء يوم شـاق في إحـدى دور الأيتام فغـادر الجميـع أماكنهم متجهين إلـى عنبر النوم اختلفت أشـكال هؤلاء الأطفال، لكنهم اتفقوا في نظرة واحدة تطلُّ من أعينهم، نظرة حرمان واحتياج ينطبق عليهم قول الشاعر:

غريب في الحياة والممات***مجهول الهوية والصفات

ومن بينهم فتى يافع قمحي البشـرة أسـود الشعر والعينين نحيف البنية اتجه بآلية إلى سـريره الذي اعتاد مشاركته همومه وأوجاعه منذ ما يزيد عن السنوات العشر.

جفاه النوم فلم يعرف لجفنيه طريق حدث نفسه بصوت خافت:

- **ماذا ستفعل في حياتك يا يحيي، لم يفصلك عن خروجك من الملجأ إلا أيام قليلة.**

قاطعه فتي ممددًا على سريره قائلا:

- **أمازلت تحدث نفسك يا صاحبي، لست آخر من سيخرج من الملجأ**

نظر إليه وتكاد الدموع تذرف من عينيه والألم يعتصر فؤاده.

أنـت تعرف من والدك يا عماد ألقى بـك عمك في هذا الملجأ بعد وفاة والدتك، أما أنا فلا نسب لي، ولن يسأل عني أحد، أمتخيل معنى أن تكون لقيطًا في مجتمع لا يرحم ؟!

- **لن تشعر بمدى ألمي مهما وصفت لك حرقة هذه الكلمة.**

تحرك من مكانه وجلس بجواره يبدو أن الدموع عرفت طريقها إلى عماد أيضا تمنى في قرارة نفسه أن يعرف مكان من أتى به إلى هنا لأن

بذور الانتقام بدأت تنبت في عقله وتعبث في خلايا قلبه.

جلـس بجانب صديقـه ليتذكر هيئتـه منذ ثمان سـنوات مضت وهو يسـلمه لهذا الملجأ ولم تشـفع دموعه للحيلولة في ذلـك فقد والدته في صغـره التي وفرت له كل ما يحتاج من رفاهيـة ,عزمت أن يكون تعليمه منـذ الصغر ضـرورة وأولوية كبرى فالتحق بالفعل بالمدرسـة الأزهرية وعمره لا يتعدى الأربع سـنوات وحفظ جزء النبأ سـريعا كما أتقن كتابة الحـروف بلغتيهـا العربيـة والإنجليزية ولـم يكتف بذلك بل أتقن رسـم الحيوانات أيضا، جده كان دائما يحبه ويقربه منه ويفتخر به ويحضر له كل المعلمين لتلقينه الدروس ولكن لم تمر وقت الرفاهية والتعلم سـريعا فقد حُـرم من كل هذا بوفاة جده وبعدها كانت سلسـلة الأحزان بفقدان والده.

حاول إثناء عمه عن فعلته ووقف أمامه بحكمة البالغين

- **عمي، ماذا فعلت لك لتعاقبني**
- **لم تفعل، ولكنه هو من فعل فحان عقابك بما اقترف**
- **هو مات، فما ذنبي بما اقترفه معك سابقا.**
- **ذنبك أنك ابنه وأنا أخوه**
- **نعم إنه والدي وأنت عمي.**

اسـتدار ولم ينظر إليه معلنـا انتهاء الحديـث واصطحابه إلى هذا الملجأ اللعين بلا رحمة أو شفقة.

رحل والتأوهات تلازمه والأوجاع مصاحبة لهذه الآلام، أصبح وحيدا فـي هـذه الدنيا يبحـث عن رفيق فكان هـذا الصديق هـو يحيى الذي

تعرف عليه بالملجأ ومن وقتها ابتسم للحياة، تارة يخلو بنفسه متوعدا الانتقام من عمه وتارة أخرى يتذكر والده.

قطـع حديثهما صوت جرس آخر معلنا مرور المشـرف بين عنابر الملجـأ ليصـب غضبه وعقابه إذا لمـح طيفًا منهم لم يخلـد إلى النوم في تلك السـاعة المبكرة من الليل، هرول عماد إلى سريره ومدّ هو يده ليحتضن تلك الصورة التي تلازمه منذ ما يزيد عن العشر سنوات.

******

مائدة كبيرة تتوسـط ردهة واسـعة في فيلا مملوكة لشخص اسمه حسـين الألفي تحـوي ما لذ وطاب من أطعمة ومشـروبات جلس على رأس المائـدة صاحبهـا وعلى يمينه زوجته مريـم يتناولان الطعام في صمت، قطع حسين صمته ليعلو صوته:

- **أين محمود ومعتز لماذا لم يحضرا، ألن يتناولا معنا طعام الإفطار؟!**

ردت السيدة بصوت يخلو من أي اهتمام:

- **محمود غادر مبكرا إلى الشركة ومعتز لم يأتِ من الأمس.**

نظر إليها وعلامات الضيق تشع من عينيه وصاح غاضبا:

- **ولماذا لم يهاتفني منذ الأمس؟!**

فردت بلا مبالاة:

- **تستطيع الاتصال به**

ثم أضافت بسخرية

– **هذا إن استجاب لاتصالك.**

وهمت بالوقوف لترحل مغادرة، لكنه أستوقفها محدثا إياها.

– **إلى أين؟**

رمقتــه بنظرة نارية وبــدأت تملُّ من حديثه، خاصــة تصنّعه لدور الأبوة ولهجة الاهتمام، زفرت قائلة:

– **لقد فرغت من طعامي.**

رمته بكلماتها وانصرفت، فلامســت ذكريات كانت قد تناســاها من قبــل رغم بحثه المســتمر عنها فــي كل مكان، تذكر ابنتــه التي وقفت متحديــة الجميع للــزواج ممن تحب وليس ممن هو يختــاره لها، فلقد عرف الحب طريق قلبها، فرســمت بريشــتها مســتقبلها وغادرت دون رجعة.

في ذات ليلة وفور أن استســلم الجميع لســباتهم العميق كانت هي متيقظة مترقبة تنتظر لحظة الحســم والهــروب من جحيم الفراق إلى جنة الأحباب لتكون له وحده.

تذكرت عندما أتى إلى فيلا والدها بلباسه المتهالك كما بدا في نظرة والدها المتعالية فعيره ساخرًا منه وكأن لم يرتدِ غيره منذ بضعه أعوام ثم نهره مغتاظًا مستنكرًا، كيف تجرأ وتطلب الزواج من ابنتي؟!

فما كان منه إلا أنه زعّم أنه ظفر برؤيتها في فندق بشــرم الشــيخ، طبيعة عمله كســبّاح لــدي أحد الفنــادق هناك، لمحها أكثــر من مرة، فتحدثــت لغة العيون تلاهــا خفقان القلب واضطــراب دقاته ثم ترجم شعورهما حديث اللسان.

أفاق حسين من شروده واتجه إلى مكتبه ليقف أمام صورها يتساءل عن مســتقبلها وعن تضحيته لأجلها منذ صغره فقد بدأ حياته مهندسًا فــي أحد الشــركات الجديدة ورغم مرتبه القليل إلا أنه اســتطاع ادخار مالا لأجل الزواج من والدتها بعد أن أعجب بحديثها في إحدى مناسبات الأفــراح التي حضرها مع زمــلاؤه وعندها قرر انها هي من يبحث عنها ويمضي معها ما تبقي من حياته.

كانت زوجته تنتمي لأسرة متوسطة الدخل، اتفق مع والدها على كل شــروطه من جهاز ومصوغات ذهبية وخلافه، ثم تزوجا واستكملا معا طريــق الكفاح وبعدها رزقهم الله بمولودة ســموها زينب تيمنا باســم والدتــه التــي فارقت الحياة وهو فــي المرحلة الإعداديــة حيث عزم أن تكون في أرقى المدارس، ادخر مالا بمســاعدة زوجته وأنشــأ مشروعه الخاص به واستطاع أن يُكبر هذا المشروع بصفة متزايدة جدا وتحقق حلمه بأكبر شركة في مجال الإلكترونيات ولحقت هي بأرقى المدارس وبعدها انتقل من شقته إلى فيلا تليق بحياتهم الجديدة.

لم تشفع تضحيته عندما وقف أمامها ليرفض الزواج من هذا الشاب وكذلك فشــلت محــاولات والدتها من أجــل إقناعها برؤيــة والدها رغم أنهــا تدرك ماذا فعــل والدها لأجلها؟! إلا أنها عصفــت بكل هذا خلفها وقــررت الرحيل دون أن تخبرهما وبعدها انقطعت أخبارها تماما رغم المحاولات المستمرة منهما في البحث عنها.

تذكرت زينب كيف تعرفت على من امتلك قلبها

******

ذهبت لتحضر أغراضها فقد حان وقت رحيلها لمحته من بعيد وهو يراقب السائحين في حمام السباحة، شابٌّ مفتول العضلات معتدل القامة له هيبة، نظارته الشمسية أعطته جمالا آخر، فقطع شرودها انتفاضته المفاجئة مهرولا إلى حمام السباحة وشقت يديه طريقها لتخرج حاملة شخصًا في ريعان شبابه أبيض البشرة كثيف الشعر وفور خروجه أسرع إليهم طاقم الإسعاف، مرت دقائق حتى حضرت إليهم سيارة الإسعاف وبعد إسعافات أولية انتبه الشاب أخيرا لمن حوله.

حدث كل هذا أمام ناظريها، يبدو أنه نال إعجابها لجرأته واجتهاده في عمله ونظره الذي يراقب الجميع كالصقر فعمله يقتضي ذلك.

فجأة انتبهت للشاب الذي أنقذه فهي تعرفه انه أخيها معتز، هرولت إليه تاركة أغراضها خلفها واقتربت رويدا رويدا منه فلامست يديها وجهه وهو بدوره نظر إلى عينيها ولم ينطق سوى.

– **دعوني أغرق .. دعوني أغرق**

ذرفت دمعاتها لتلتقي ببكائه ونظرت إلى السباح

– **شكرا لك على حسن صنيعك.**

– **هذا عملي يا سيدتي، لكن نصيحتي لا تتركوه وحيدا حتى يتغلب على آلامه.**

نظرت إلى السباح نظرة استياء، ربما ودت أن تلكمه فجأة فهي تكره تدخل الغرباء في أمورها الشخصية التي تخصها وحدها، فضلت أن تكتم غيظها في نفسها واصطنعت ابتسامة خفيفة رغما عنها.

– **سنعمل بنصيحتك.**

أسندته واتكأ عليها وذهبت به إلى الشالية الخاص بهما فلمحها والدها فانتفض مسرعا على الفور برفقة زوجته ووقفت زوجته تساعد ابنتها في مساندته وهّم زوجها بمد يد المساعدة إلا أنه تراجع ولم يفعل ذلك رمقته نظرات غاضبة من زوجته وابنته فرحل عنهما لينفرد بغرفته.

******

انتبهت زينب إلى رنين هاتفها معلنا استقبال رسالة عبر الفيس بوك من شخص يدعى سامر الشاعر يطلب إضافته، فلم تعط له أي اهتمام وذهبت إلى الغرفة المجاورة للاطمئنان على أخيها وفور أن رأته رن هاتفها مرة أخرى معلنا استقبال رسالة فتجاهلتها وذهبت إلى غرفتها لتضع هاتفها ورجعت لأخيها معتز مرة أخرى الذي كان ملازما للفراش اقتربت منه قائلة وهي تزين وجهها بابتسامة عطوفة

– **كيف حال أخي الحبيب اليوم؟**

أشاح بوجهه عنها للجهة المقابلة يتطلع للضوء المنبثق من أشعة الشمس علها تبدد جزء من حزنه فيرحل مع رحيلها .. ولما رأت إعراضه رقت لحاله فأطلقت زفرة ملتهبة وهي تقول:

– **لماذا تعذب نفسك بحبها وهي لا تهتم لحبك هذا ولا تريد أن تضحي لأجل سعادتك.**

نجحت في استفزازه فالتفت إليها قائلا بحدة واضحة:

– **ومن قال لكِ أنها لا تحبني، وهل السعادة هي أن أحب من لها مال وثروة؟**

– **انتبه لنفسك هي لا تحبك من أجلك بل من أجل أموال والدك وثروته.**

– **فلتذهب أموال والدي إلى الجحيم، كل ما يهمني هو الزواج ممن أحب.**

حاولـت تهدئة حدة غضبه ولكنها فشـلت فذهبـت لغرفتها صامتة وقطعت هـذا الصمت بإخـراج هاتفها لتكتب خواطرهـا التي اعتادت عليهـا فوجدت كم هائـل من الرسـائل عبر الفيس بـوك ففتحت هذه الرسائل وفور أن رأتها أغمضت عينيها مسرعة وتغيرت ملامح وجهها إلـى الغضب هذا ما كان ينقصها كيف يجـرأ على فعل ذلك، ألا يعرف من أكون.

نظرت إلى الرسـالة الأولى التي بها صورتها وهي تساند أخيها بعد أن أنقذه هذا السباح وكتب تحتها هكذا يكون الحب والانتحار.

ونشر صور أخرى مدون تحتها تعلن حبها له على الملأ ويعلن عن انتحاره هو الآخر على الملأ.

وصورة أخرى مدون تحتها لم يعلم أنه إذا رحل عنها فإن ابتسامتها ستذهب إلى غيره، مسكين هذا الأحمق!

جلسـت حزينة وكلها حيرة، كيف توصل هذا الشخص إلى حسابها الإلكتروني وشـكت أن هذا الشخص من المؤكد من أنقذ أخيها فعزمت على توبيخه في اليوم التالي.

ربما سـاعدتها الظروف في فعل ما تنويـه، بعد أن أوصي الطبيب

براحة أخيها يومين مما جعلهم يؤجلون موعد سفرهم.

ذهبت إليه في اليوم التالي وفور أن رأته رمقته بنظرة غضب

– **ماذا فعلت أيها السافل وكيف عرفت حسابي على الفيس بوك؟**

لـم يبدُ عليـه أدنى اهتمام بل نظـر لها بلا مبـالاة دون رد مما زاد الحمم المشتعلة بداخلها فانفجرت قائلة:

– **لماذا لا ترد على سؤالي أيها الأحمق؟**

أجاب ببطء وكأنه يتعمد استفزازها

– **ولن أرد ما دمت أرى أمامي إنسانة لا تنتقي كلماتها ولا توجهها بطريقة لائقة.**

أحسـت بجرح في كرامتها كيف يتطاول هـذا الصعلوك عليها لابد وأن ينال عقابه في الحال ولا إراديا همت أن تصفعه، لكن يدها تسمرت في الهواء وأطلت من عينيها نظرة نارية أخافتها وجعلتها تبتلع ريقها بصعوبة تبحث عن قطرة ماء تبلله بها بعد أن تحول إلى صحراء قاحلة وزاد من انكماشها صوته الذي خرج منه هادرا وهو يقول:

– **إياك.**

ثم تابع قائلا ومازالت نظراته مصوبة نحوها كسهام تخترقها

– **ولكي أوفر عنك العناء فأنا لا أمتلك حساب على الفيس بوك.**

تبدلت نظرتها وشـعرت بأسف حيال ذلك وتسـرعها في اتهام من أنقذ أخيها

رمقها بنظـرة غاضبة فهمت بالرحيل إلا أنهـا خجلت أمام نظراته

المطالبة إياها بالاعتذار، تنازلت عن كبريائها متناسية جرحها بكلماته واعتذرت له عما فعلت به، لم تعتد من قبل ثقافة الاعتذار ولكن خوفها مـن نظرات عينيه جعلها تنصـاع وتلبي طلبه أو ربما هو مكنون قلبها الذي تسارعت نبضاته وخفقانه في هذه اللحظة.

وما إن قبل اعتذارها، رحلت مسـرعة إلى بيتها واتجهت إلى غرفتها كطفلة أطلق سراحها للتو بعد عقابها

خلـت بغرفتهـا فوضعت يدهـا على صدرهـا لتهدئ من أنفاسـها المتسـارعة ثم حاولت التركيز في شيء آخر، لكنها لم تستطع فقامت لتتفحص هذه الرسائل وتدون

– **كيف عرفت حسابي أيها السمج؟**

فكان الرد سريعا،

الأمر بسيط سيدتي، كاميرة هاتفي، التقطت صورك وأنتِ تحملين زوجك الذي يعاني فوضعت الصورة في محركات البحث الإلكتروني فظهر لي حسابك فأضفتك.

– **وكيف عرفت أنه زوجي؟**

– **عفوا، ماذا تقصدين بكلامك؟**

– **إنه أخي أيها المغفل**

– **ولماذا طلب أن تتركيه يغرق؟**

– **هذا أمر لا يعنيك، أمور شخصية لا دخل لك بها.**

– **هل قبلتي إضافتي؟**

– **لا، ولن أضيفك أيها الأحمق فقد أذيت شخصًا بلا ذنب اليوم.**

– **نعم رأيتك توبخين إياه هذا المسكين.**

أغلقت هاتفها وأعادها الشك مرة أخري في هذا السباح وعزمت على النيل منه في اليـوم التالي قبل رحيلها، فكيف تصل به الجرأة للإنكار وادعـاء الكذب عادت إليها طبيعتها المتعالية مرة أخرى بعد أن توارت خلف ثوب الخوف منذ دقائق فحدثت نفسها

إن مثل هـؤلاء الأشـخاص بطبيعتهم العفنة وسـوء احتـرام الغير يسـتحقون المزيد من التوبيخ بل والضرب أيضا دون رحمة فلذلك هم بتعداد الفقراء ونحن في مصاف الأثرياء والطبقات الراقية نحنو عليهم لنشـعرهم بطيبة قلوبنا ونقسـو في أحيانا أخرى حتى لا يتمردوا على أسياد نعمتهم.

حياتهم بالنسـبة لنا مشـهد سـينمائي نسـتمتع بـه، نراهم لندرك أهميتنا نحن بين هـؤلاء ولكن إذا تطاول أحدهم فلابد أن يناله العقاب ويرجع إلى مكانته الأصلية بين العبيد والحمقى.

استرجعت جرأته عندما وبخها واستسلمت لذلك بل واعتذرت أيضا له دون إرادة منها عندما خلت بنفسها فعزمت على تعنيفه والنيل منه.

******

ذهبـت إليه فـي اليـوم التالي ولكنهـا صمتت فـور أن رأته فهمت بالرجوع وتناست وعيدها للنيل منه لولا أن اقترب منها متحدثا.

– **كيف حاله اليوم؟ لعله بخير.**

– **تقصد زوجي أم أخي؟**

– **لا أفهم كلامك سيدتي.**

– **الحمد لله أخي بخير ولست متزوجة حتى لا تتطفل مرة أخري برسائلك.**

– **أي رسائل تقصدين؟**

– **رسائلك التي ترسلها عبر حسابي الإلكتروني اللعين أيها الأحمق.**

قالتها وهمت بالانصراف ولم تصدق نفسها أنها عنفته.

استدار بسرعة ليقف أمامها ويمنعها من المغادرة قائلا بحدة

– **قلت لكِ أنني لا أمتلك حساب على هذا الجهاز اللعين.**

أغمضت عينها وهزت رأسها في حيرة واضحة وهي تقول

– **إن لم تكن أنت فمن يكون؟**

قال بهدوء:

– **لا أدري.**

ثم أضاف بلهجة خاصة لم تلاحظها هي:

– **ربما يكون شخصا قريبا منك.**

تنهدت وهي تبحث في ثنايا عقلها عمن يكون هذا الشخص المجهول وعندما عجزت عن أن تجد إجابة زفرت بقوة، خشي هو أن ينقطع حبل الحديث بينهما فحاول جذب انتباهها لموضوع آخر قائلا

– **لماذا يتألم أخيكِ وما هو سر تمنيه الموت ألا يعلم أن الحياة ليست**

كما يظن؟

حاولت تجاهل السؤال إلا أنها شعرت بميل تجاهه، فطوعت نفسها لتسلك شخصية جديدة تصنعها لنفسها، أرادت أن تطلق لنفسها الحديث بلا قيود، حتى لو كان حديثها مع من وبخته، فكرت للحظات ثم اتخذت قرارها بجرأتها المعتادة فطلبت منه الحديث في مكان بعيد عن ذلك فرحب بالأمر وذهب إلى مديره ليستأذن مبكرا فأذن له.

ذهب معها إلى حديقة قريبة من الفندق وبدأ في تداول الحديث فتحدثت عن أخيها وشعرت بعاطفة تجاه هذا الرجل الذي لم تتعرف على اسمه بعد.

– **سر تألم أخي أننا من أسرة غنية وقد ارتبط هو بفتاة ميسورة الحال وأحبها حبا شديدا وطلب من أبي التقدم لزواجها ولكنه وبخه ورفض الأمر.**

– **ولماذا يريد الارتباط بفتاة أقل منه في المستوى الاجتماعي؟**

– **هذا هو الغريب في الأمر.**

ومن قال لكِ أن الزواج مرتبط بالمال، فالحب يذيب كل الفواصل بين الطرفين والجميع يتساوى أمامه إنه تلاقي القلوب.

لم تنتبه لكلامه الأخير فقد سرحت بخيالها قليلا

– **هل حضرتك توافقين على كلامي؟**

– **نعم بالتأكيد، ماذا كنت تقول؟**

ابتسم كعادته وسألها

– **بفرض أنني امتلك ثروة كبيرة وتقدمت لخطبتك فهل ستوافقين؟**

– **بالطبع لا**

– **وهل لو كنت تحبين شابا آخر ميسور الحال مثلي الآن وتقدم لزواجك فهل ستوافقين؟**

– **بالتأكيد لا**

– **لماذا؟**

– **لأنني تعودت على مستوى رفاهية يُناسبني ولابد أن أستمر في هذا المستوى دائما.**

– **وهل تعتقدي من يحبك يريد لكِ العناء، إنها إمكانياته وطموحاته.**

– **إذا فليذهب الحب إلى الجحيم.**

نظرا إليها ونطق بكلمات متتابعة سريعة

– **أخيك معه كل العذر أن يترك هذه الدنيا فقد وجد من يحب وجميعكم تقفون حائلا أمام كل ذلك ولن تشفع هذه الأموال في أن تداوي جراحه، وفي نهاية الأمر سيتزوج من أحب سواء رضيتم أم لم ترضوا.**

– **يا هذا ألا تقرأ عن بر الوالدين؟**

– **نعم قرأت عن برهما وعن حقوقهما أيضا تجاهي، ولماذا تغيرين الموضوع**

– **لأن والدي ووالدتي يرفضون هذا الزواج.**

لم يستكمل حديثه وشعر بغضب واستأذن بالانصراف.

تغيرت معالم وجهها فلأول مرة تتحدث مع شـاب ويتركها دون أن تكون هي من بدأت فكتمت غيظها في نفسها

يمكنك الرحيل إن شئت.

ذهبت إلى بيتها، تنتظر هاتفها أن يستقبل رسالة من هذا الشخص المجهول ولكنه لم يرسـل رسـالته هذه المرة أيقنت أنه هو وأنه أدعى الكذب عليها.

فأرسلت إليه سؤالها

– **لماذا تكذب علي؟**

فرد مسرعا:

– **وماذا يجعلني أكذب عليك أيتها الرقيقة المشاعر؟**

شـعرت بقلبها يتمزق وصداع فركنت إلى سـريرها وأغلقت هاتفها وبعد أرق دام سـاعتين استسـلمت للنوم واسـتيقظت فجـأة فقد رأت كابوسًا مزعجًا.

رأت أخيها يرتدي زي عريـس تغمره الفرحة وهو في كامل بهجته وسعادته وبجوارها عروسته الحسناء التي تتزين بفستانها ويحيطهم الأقارب والأصدقاء والفرقة الغنائية التي عزفت أجمل الألحان واستمروا بالتمايـل مع هذه الأنغـام لتعمّ الفرحـة المكان وبينما هـم يحتفلون ويتبادلـون التهانـي انتزعت هي سـكينا حـادًا وحاولـت قتله وطعنه وكذلك والدها ووقفت الأم حائلا بينهم وبين ابنها فاسـتيقظت مذعورة لهول ما رأت.

تذكـرت نصائح جدتهـا فذهبت مسـرعة لتتوضأ وصلـت ركعتين

ورفعت كفيها بالدعاء لها ولأخيها وأسرتها.

وأصبح هــذا الكابوس يلازمها كل ليلة وتذهــب إلى الصلاة فكانت تســتيقظ فــي مثل هذا الموعد حتــى وان لم يلازمهــا الكابوس ولكنها أرادت أن تبحث عن حل لهول ما شــاهدت فأمســكت هاتفها وأرســلت رسالة له لمن حدثها سابقا.

– **ماذا أفعل بسبب هذا الكابوس الذي يراودني؟**

وجدت رد على رسالتها بسرعة لم تتوقعها.

– **وما هو هذا الكابوس؟**

فأخذت تكتب هول ما رأت.

فكتب لها برسالة قصيرة موجزة

– **ساعدي أخيكِ على زواجه ممن أحب.**

كتبت رســالتها التاليــة بتلقائية لم تعتد عليها مــن قبل فهي تتأنى دوما فيما تكتب.

– **من أنت؟**

هــذه المرة لم يأت لها رد في حينها فقد اســتغرقت عشــرة دقائق تنتظــر وقررت غلق هاتفها بعد أن أصابها اليأس من انتظارها لإجابته ولكن قاطع شروده تنبيه هاتفها بتلقي إشعار جديد.

شخصا يريد مساعدتك على فهم الحياة وأعيش دوما بالقرب منك.

– **كيف تعيش بالقرب مني؟**

أغلقــت الهاتف مــرة أخرى وذرفت دموعها بغزارة شــديدة فذهبت مسرعة لتتوضآ كعادتها وتصلي ركعتين فصلت ودعت حتى استغرقت في نومها على ســجادة صلاتها ووجدت رؤيــة جميلة محت الكابوس الذي يراودها.

وجدت نفسها بفستان زفافها محاطة بجمع من العصافير يغردون لفرحهــا وتكاثرت العصافير من حولها فنظرت بجانبها لتجده محاطا هــو الآخر بالعصافيــر مخفيا معالم وجهه ووجدت من أمســكت بذيل فســتانها ورأت أخاها أمامها ببدلة غاية فــي الروعة فقبل يدها وذهب ليصطحبها إلى عريسها بالجوار الذي يبعد بخطوات فذهبت بصحبته لتجد عريسها فتعجبت فلقد كانت تعرفه أنه هو ...

نظــرت إليه فاحتضنته وذهبت بــه وأخوها ذهب هو الآخر بجوارها وبيــده عروســته وطارت عصفورة مــن جوارها لتلتقــي بعصفور من جوار أخيها فطار من العصفورين عصفورا آخر أخذ يسبح في الفضاء راسما كلمتي السعادة للجميع

فأدركت حينها أن السعادة تصنعها أيدينا لا أياد غيرنا.

وبينمــا هي غارقة في حلمها وســعادتها أتاهــا صوت مؤذن صلاة الفجــر فاســتيقظت وتوضأت لتصلــي وبعد صلاتها أمســكت هاتفها لتدون خاطرتها وتبعث بها لهذا المجهول

******

وفي الصباح ذهبت لغرفة أخيها فوجدته فرحا مســرورا مســتغرقا فــي أفكاره فاقتربت منه فقبل يداها وقص عليها رؤيته كانت كرؤيتها

بالضبط ففغرت فاها فتوقف عن الاسترسال وهو يسألها:

- **ما بك؟ هل قلت شيء خطأ؟**

قالت وهي ما تزال ذاهلة

- **لقد رأيت نفس الرؤية**
- **حقا**
- **نعم**

تهللت أساريره وهو يقول:

- **أبشري أخيتي فلقد قدر لكلينا الخير كله إن شاء الله.**
- **هل تعتقد أن هذه الرؤية حق؟**
- **بالطبع فكلينا رأي نفس الرؤية.**
- **وماذا سيحدث بعد هذه السعادة هل تتبدل لحزن؟**

صمت بحزن فقد تذكر أسرته وعنادها فألتزم الصمت

تطرقت هي بحديثها:

- **نحن سنصنع مستقبلنا وسيكون فرحنا معاً إن شاء الله.**

ولكنها لم تدرِ كيف ستصل إليه

وقف متعجبا من حديثها:

- **ولكن أين هو؟**

ذرفت دمعة مــن عينيها ورحلت لتخلو بغرفتهــا ويبدو أن الدموع عرفت مرة أخرى طريقها إليها بعد أن فارقتها لفترة.

******

الفصل الثاني
السعادة والألم

عندمـا تبني السـعادة في قصـور من الأوهـام وجنات مـن النِعم واستقامة الأحداث تستيقظ وقتها على واقع اسمه الألم وهكذا يتبادلان الأدوار

تحّلم بالسعادة فينهيها الألم.

السـعادة هي الصفة التي يطمح لنيلها الجميع بل ويمنون أنفسهم بدوامهـا، البعض يراها أنها مرتبطة بالمال وآخرون يرونها متمثلة في راحة البال والذهن الصافي ومعظمهم يبلورون تعريفاتهم أن السعادة هي الزواج.

ولكنهم غفلوا عن أنك من الممكن أن تمتلك المال وأيضا راحة البال حتى تأتي الزوجة فتظن أن السـعادة اكتملت بوجودها ولكنك لا تدري أنك إذا وصلت لقمة السعادة فبعدها يكون المنحدر والوصول إلى قاع الحـزن والألم وربما فـي بعض الأحيان ينتهي بك القـدر إلى الانتحار وتظـن أنك بذلك سـترتاح من الألم، لكنك لا تـدري أنك وقعت فيما هو أشد من هذا وتجاهلت أيسر الطرق للتخلص من الحزن.

******

وقفـت زينـب متحيرة كيف تحتـال على والدها لتقابـل من أحبت، وانصاع له قلبها واحتله، قطعت غرفتها سيرا مجيئا وذهابا حتى وجدت أنه لا مفر من المصارحة وإن خافت من عواقب الأمور سرعان ما لجئت إلى اتصالات سـريعة مع زميلاتها بعدها اتخـذت قرارها فطرقت باب مكتـب والدها فأذن لها بالدخول وسـارعت لتقبل يديه وتسـتخدم كل

مرادفات الطلب والرجاء.

– **يا أبي أريد الذهاب لشرم الشيخ في رحلة مع زملائي**

أدرك على الفور أنها مهدت بهذه المقدمات لهذا الطلب فابتسم لها ووضع يديه في جيبه مخرجا بعض النقود الورقية.

– **يمكنك الذهاب يا زينب.**

وأعطاها النقود التي أخرجها من جيبه.

تبدلت حالتها إلى السعادة وكأنها نالت المركز الأول بنتائجها الدراسية وهتفت

– **شكرا يا أبي سأجهز حقيبتي للرحيل غدا إن شاء الله.**

رحلت لا تدرك ماذا ستفعل لتحقيق حلمها وغايتها وهل هناك تضحيات ستدفع بها وكيف ستلتقي بمن أحبت، كل هذه الأسئلة أصبحت أمامها.

انتظرت رفيقاتها أمام الأتوبيس الذي سيغادر بعد قليل أمسكت هاتفها تستعجلهن فوجدتهن أمامها

– **لماذا تأخرتن هكذا؟**

– **أزمة اختناق المواصلات، دعينا نلحق الأتوبيس بدلا من العتاب الذي لا يجدي.**

ركبت في مقعدها وأخرجت السماعات الخاصة بها لتمضي وقتها في الاستماع إلى الموسيقي الكلاسيكية واستغرقت مستسلمة للنوم، لم يوقظها إلا إشعار من هاتفها

فتحت قائمة الرسائل فدق قلبها بنبض متتالي إنه هو سامر قرأت رسالته

– **تمنياتي لكِ برحلة سعيدة.**

فرحت كثير فبهذه الرسالة أذاب كل عوائق الكلام والتعبير بالأحاسيس التي احتفظت بها له رغم أنها لم تتحدث معه إلا مرة واحدة ولم تعرف اسمه إلا من هذه الرسائل ولكنها انتبهت فجأة وماذا لو لم يكن اسمه سامر؟

احتارت قليلا ولكنها عزمت طرد كل هذه الهواجس سأقابله وليكن ما يكون.

نزلت من الأتوبيس أمام الشالية التي حجزت به مع رفيقاتها ووضعوا أمتعتهم في أماكنها وبدؤوا يستسلمون إلى الراحة من هذا المشوار الطويل.

******

استيقظت من نومها على رسالة من هاتفها ففتحت لتقرأها.

أتمنى لكِ رحلة سعيدة ورجل يقدر قيمة سعادتك وأن تغادرك الأحزان ولا تزور قلبك أبدا.

نظرت لمحتوى الرسالة وقادتها قدميها إلى مكانه فقد كانت تعلمه من زيارتها الأولي مع عائلتها ووقفت مستجمعه جرأتها

– **كيف حالك أيها السباح الهمام**

– **الحمد لله بخير وفي أفضل حال وكيف حال أخيك؟**

تعجبت من سؤاله فهو لم يسأل عنها ولكن كتمت ذلك في نفسها

– **أخي بخير هل من الممكن اصطحابك خارجا مرة أخرى بعيداً عن العمل.**

نظر إليها مبتسماً

– **سأسوق لهم إذاً عذرا جديد للرحيل مبكرا، وعموما لكِ هذا وإن كنت أشعر بالذنب حيال الأمر.**

– **وما الذنب في ذلك.**

– **سكت ولم يُعقب.**

– **لماذا تصمت عن الحديث معي.**

– **هل تتذكري عندما غادرتِ في آخر مرة تقابلنا بها.**

– **نعم أتذكر.**

تركها وذهب لرئيسه بالعمل ليتحدث عن انصرافه وبعد دقائق غادر معها ليجلسا بمكان قريب من عمله مستكملا حديثه.

– **خلوت بنفسي فكيف لي بالحديث معكِ بهذه الطريقة.**

– **لم أفهمك، ماذا تريد أن تقول**

– **القيم والتعاليم الدينية التي تربيت عليه يمنعني من الحديث معكِ ولكن فيكِ جاذبية لا تقاوم تدفعني إليك دفعا.**

توردت وجنتيها خجلا رغما عنها وصمتت قليلا كمن تزن جملتها التالية في رأسها ثم قالت بعد أن حسمت أمرها

– **هل تتزوجني؟**

تعجب من سؤالها:

– **وماذا تعرفين عني لتعرضي الأمر علي؟**

نظرت إليه بحدة

– **أريد إجابتك**

– **ليس عندي إجابة الآن فإني محتار في هذا الاختيار.**

– **صدمتها إجابته وهي التي كانت تظن أنه لن يتردد في قبول عرضها هربت من أمامه تلملم بقايا كبريائها.**

كان يود وقتها تكملة الحديث معها ولكن نصائح صديقه منعته من ذلك فقد رسم له طريق الظفر بها مشترطا عليه إتباع تعاليمه فقد خطط صديقه من قبل بالاتفاق مع بعض الفتيات أن تتغامز أمامها بجماله وأخلاقه.

عقبت قبل رحيلها.

– **أعتذر عن طلبي.**

لم يقاوم جاذبيتها وعصف بكل تعاليم صديقه وأمسكها من يديها وطلب منها الجلوس مرة أخرى وأن تعفو عن أخطائه، لم تكن لتقبل بتوسله بهذه السهولة ولكن قلبها لم يطاوع عنادها فقبلت أسفه واعتذاره.

– **هل لكِ أن تدوني العنوان.**

نظرت إليه متعجبة من حديثه

– **لقد سحبت طلبي فلا داعِ للعنوان الآن.**

أدرك وقتهـا أن مخالفة واحدة لصديقه أضاعت عليه فرصته للظفر بها ولكنه لن يستسلم أبدا فتوسل منها بشتى الطرق.

كانـت الثلاثة أيام التي قضتها برحلتها مع أصحابها بمثابة أسـعد أيـام قضتها في حياتها فـكان الورد الأحمر ينتظرها صباحا مرسـلا تحياتـه وتُرافق أصحابها حتى موعد نهايـة عمله فتصطحبه لتتعرف منه ولتعلم ما يخفيه عنها من أسـرار وفور أن تعود إلى مسـكنها تجد الورد في انتظارها.

أنقضـت أجمـل ثلاثة أيام فـي حياتها مطلقة الحرية لنفسـها وقد تجاوزت بعد الحدود التي رسمها لها والدها من قبل.

وبعـد أن غـادرت أماكن رحلتها إلـى بيتها تذكرت هـذه اللحظات الجميلة وخلت بغرفتها تنتظر رسـائله المعتادة فقد تيقنت الآن أنه هو صاحب الرسائل وتبادل الغرام بعد ذلك من خلال هذه الرسائل العابرة متناسـية اللـوم والعتاب الـذي حدث من قبـل وقد دونـت بخاطرتها المعتادة بالهاتف

– **"لا محبة إلا ما بعد عداوة"**

انفـردت بغرفتها تسترسـل هل تسـرعت بعرض الـزواج منه وهل المفترض أن تكون هي صاحبة الخطبة أم هو، بررت لنفسها أنها تريد إذابـة كل العوائق المادية تجاهلت رفض والدها المتوقع بنسـبة كبيرة ولكنهـا أرادت ربما اختبار نفسـها واختباره بجرأته على الوقوف أمام والدها وأنه إذا فعل ذلك ستحارب من أجله وتتزوجه.

جلسـت في غرفتها تنتظر رسـالته المعتادة ولكنه تأخر هذه المرة

ولا يوجد أي رسالة شعرت أن أحلامها طارت وأصبحت سراب.

رن هاتفها بأشـعار لوجود رسـالة سـارعت لتفتحها وقلبها مليء بالشـغف والحنين تمنت أن تحتضن رسـالته ولكنها كانت رسـالة لم تتوقعهـا أنها مـن صديقتها توبخها على سـوء المعاملة والتوعد بعدم مرافقتها في أي رحلة مرة أخري.

كتمـت غيظها في نفسـها أرادت أن تضربها لو كانـت أمامها أهذا وقت الرسائل الغير مرغوب فيها.

******

مر يومان، فوجئت بطرق على الباب فأسـرعت تمني نفسها ليكون هو الطارق، فكان أخوها محمود قد عاد من سـفره، ألقى عليه السـلام فلم ترد كانت شاردة فيه كأنها تمني نفسها بحضوره.

نظر محمود إليها

– **ماذا بكِ؟**

أغمضت عينيها ثم فتحتها مرة أخرى.

– **لا شيء أخي ولكني أشعر بإرهاق وأحتاج إلى الراحة.**

– **إذا أذهبي لترتاحي أخيتي.**

ذهبت وشـعرت بالندم لتعجلها الأمر والحديث أتجعل قلبها تقوده رؤيـة في منام، ركنت إلى غرفتها تسـترجع ما فعلت مكثت سـاعتين تسرح بخيالها والحلم الذي لم يتحقق بعد.

سـمعت صوت والدها يعلـوا بالخارج ويـزداد العلو رويـدا رويدا فتحت باب غرفتها ووقفت لتنظر من الأعلى.

أضطرب قلبها بتتابع شـديد وتسارعت النبضات في سباقها أخذت ترتعش أطرافها

– **نعم إنه هو.**

وجدت بالأسفل من قابلته وأنقذ أخوها ربما تحدث عن الزواج منها لذلك تغيرت معالم وجه والدها وأشار له معلنا طرده من فيلته حاولت اللحـاق به فاشـتط والدها غضبا ودفعهـا بعيدا عنه فسـقطت فاقدة وعيها.

لمـح هو ذلـك فـأراد أن يحملها ولكنه وقـف أخوها معتـزاً أمامه مخاطبا إياه.

أرحل الآن.

فاسـتجاب لمعتـز ذلك الأخ الـذي غرق مـن قبل بأحزانـه فأنقذه وأوصى أخته عليه.

مرت سـاعات على آلامها وفور أن استيقظت وجدت أخاها بالجوار يخفف عنها هو ووالدتها.

– **أخيتي لقد رأيت كل ما حدث بالأمس في رؤية ولكني لم أتذكرها إلا عندما حدثت أمامي.**

نظرت إليه قائلة

– **هل ستتزوج من تحب؟**

أتمنى ذلك

– **ولكن أبي؟**

– **لماذا دائما تتحدث كأنك طفل بلا شخصية، هذه حياتك وليست حياته وهذا مستقبلك.**

– **ولكن عملي أخيتي.**

– **يمكنك البحث عن عملا آخر، الأمر يسير، لماذا تصمت على الظلم الذي ينالك فلن أسمح أن ينالني.**

نظرت والدتهم إليهم وأرادت أن تشاركهم الحديث

– **يا أولادي هذه حياتكم أرسموها كما يحلو لكم ولكن بذهن وتفكير بلا تسرع، لا تخسروا والدكم فبداخله طيبة فقد أرهقته السنوات ليحقق هذا المجد والثراء لكم ولا يريد أن يأتي من ينعم بكل هذا دون تعب إلا أولاده فقط.**

اعتقـدت الأم أنهـم اتفقـوا على كلامها وأحسـت ذلك مـن صمتهم فغـادرت غرفة ابنها وذهبت إلى زوجهـا، أرادت أن تحاول مجددا في أمر زواجهم ولكن كل حيلها باءت بالفشـل بل تعالت الأصوات ورحلت إلى غرفتها غاضبة مما فعل.

بعـد رحيل والدتهم عنهم تبادلوا حديثهـم وتحاوروا لإيجاد مخرج مما هم فيه اتفقا معاً على الزواج ممن أحبوا على أن يكون الأمر بينهما طـي الكتمان حتى يسـتطيعوا إيجاد هو فرصة عمـل بعيدة عن والده ليكون بعدها الرحيل.

مــرت الأيام وأعتقد والده أنه تناســى أمر زواجــه ممن أحب وكذلك هــي فأطمئن لهما وبدأ شــخصيته تتغير إلى ما كانــت عليه قبل قدوم هذا السباح.

كان في هذه الأثناء معتز يدبر لكل شيء بزفافه وأخته

فــي اليوم التالــي بالفعل تحدث إليها ودبر موعــد زفافه بها وجعل هــذا الزفاف بشــرم الشــيخ ليقضي أســبوعا هناك وذهب إلــى والده متحججا أنه يريد الراحة والاســترخاء بعيد عن أعبــاء العمل والذهاب إلى الإسكندرية فوافق على ذلك.

وبدورهــا هي الأخــرى لحقته بعــد أن تأكدت ســكون الجميع إلى نومهم.

هربت من أجل رؤية وهو سبقها من أجل حب.

تزوج أخوها ممن أحب وتزوجت هي ممن رأته في منامها

تزوجــت منه بعد أن دوّن المأذون اســمهما على قســيمة زواجهما زينب حســين الألفي وسامر ســعيد المصري بحضور أخيها وأصدقاء زوجها.

نظر معتز الى زوجته فقد فرح بنيل نصيبه والزواج منها بعد شهور من المعاناة والألم تذكر بداية معرفته بها عندما ذهب إلى الإســكندرية برفقة أصحابه من أجل التنزه وفور رؤيتهم البحر لم يحيل أحد بينهم وبيــن البحــر فقد غيروا ملابســهم من أجل أن تلامس أجســادهم هذه الميــاه الرائعــة التي تخفف عنهم مــن ألام الحر. جميعهــم ذهبوا إلى البحر إلا هو فقد جلس ســاكنًا يتأمل الطبيعة وينظر حوله ليطّلع علي

وجوه الناس.

ينظر إلى سيمفونية تتخللها صعود وهبوط الموجات يعكس بريقها أشعة شــمس رنانة، أبدع الخالق في صنعها، تذكر دروس جده رحمه الله عن التأمل في الطبيعة وسرها في العبادة.

دقائق مضت فأنتبه من تأمله بكرة ســقطت على رأسه لترتد عالية والتقطهــا هو، نظر إلى صاحبة الكرة فكانت على غير ما يتوقع، كانت لفتــاة في ريعان شــبابها، جميلة ذي بشــرة بيضاء، نظــرت إليه وهو بدوره لم يمنع نظره في محاكاة نظرها.

- **ممكن لو سمحت الكرة؟**
- **الكرة الآن أصبحت ملكي فقد سقطت علي من السماء؟**

ابتسمت وعقبت

- **وماذا أفعل الآن أذهب إلى السماء أطلبها منها؟**
- **لا أبدا، سأعطيك الكرة ولكن لدي شرط؟**

تغيرت معالم وجهها إلى الغضب.

- **اتفضل.**
- **بعد أن تنزعي وجه الغضب الذي ارتديه الحين، أصاحبك لنأكل أيس كريم سويا.**

لم تشــعر بنفســها إلا وهي تتناول معه الأيس كريم بعيدا وتعارف سويا بل وتبادلا أرقام الهواتف والحسابات الالكترونية.

فرحت لأنها وجدت مبتغاها كأي فتاة، شاب يريد الزواج منها يحمل

المواصفات التي تتمناها بل سيحقق لها أمنياته بحكم ثرائه فهو مدير شركة للألكترونيات أنشأه له والده.

إنه الحب الذي عرف طريقه لكليهما هو يسكن في فيلا وهي تسكن في شقة أذاب الحب هذه الفواصل بينهم.

ألتقـي بهـا أكثر من مـرة خلال المصيـف عن عمد، وفـي كل لقاء وكعادة المتعارفين تظهر إيجابيات كل طرف متناسـين سلبياتهم عن قصد.

حـاول صديقه خالد وهو بمثابة شـيخ شـلتهم أن يلفت انتباهه أن شرعا لا يجوز الخروج معها إلا بعقد أو خطوبة ويكون خلال خروجهم أخيها أو ما شابه ذلك وفي كل مرة ينظر إليه والجملة المعتادة

– **هل لك أن تحتفظ بهذه النصائح لنفسك؟**

لم يشـأ تعميق الخلاف معه فاحتفظ بالنصائح التالية أمثلة فأظفر بذات الدين لنفسه حتى يتجنب سماع توبيخا جديدا.

أخـذ منها موعدا في آخـر يوما قبل رحيلهم من الاسـكندرية وهي بدورها كانت تسكن بالقاهرة فكان التقائهم نسبيا سهلا.

ذهـب إلى بيته حاول الحديث مع أخته زينب بشـأنها فسـألته عن الحالة المادية لأسـرته فأجابها أنها ميسـورة الحال وفور أن سـمعت هذه الكلمة استشـاطت غضبا رفضـا لهذه الزيجة معللـة بأنهم أولاد الطبقة الراقية فكيف لهم أن يتزوجون من عامة الشعب.

لم يعـط أي انتباها لحديثها ففي لحظة كانـت هي منبع النصيحة تحولت فأصبحت منبع الفخر والعصبية على حساب الإنسانية.

ألتزم صمته كعادته وذهب إلى غرفته دون الحديث معها ولكن عاد مرة أخرى وقال لها:

– **غدا ستدركين أهمية عامة الشعب بالنسبة لنا.**

غضبت وهمت بركله بكلماتهـا المتتالية ولكنها رحلت ليصد الباب عنه هذا اللكمات.

انفـرد بذاتـه ليحدثها عما سـينوي فعلـه فقد تعلق بهـا، أصبحت بالنسـبة له كالظل الذي يصاحبه بل أكثر من ذلك فقد سكنت قلبه منذ أن رأي هيئتها الجميلة الحسنة.

ذهب فـي اليوم التالـي بموعده ليلتقـي بها وتحدثوا عـن حياتهم ومسـتقبلهم معا وفي نهاية حديثه صارحها بأنه ينوي خطبتها ولكن هناك عائق فنظرت باهتمام شديد.

– **وما هو يا حبيبي؟**

– **أبي، سيرفض هذه الزيجة؟**

– **ولما يرفضها ألست أنت تهواني وأنا أهواك؟**

– **ولكن ,, ربما ,,, ريثما ,,, سأقول لك لاحقا**

– **ماذا تريد أن تقول، لا تخفي عني شيء**

– **هل ممكن أتزوجك بعيدا عن حضور والدي؟ ونسكن بشقة دون علم أسرتي إذا رفض هذه الزيجة.**

– **فكرت قليلا ووجهت حديثه إليه**

– **وماذا أفعل مع أهلي الذين يريدون أن يفرحوا بي.**

- **حاولي معهم**
- **ولم لا تحاول أنت مع والدك.**
- **قلت سأحاول ولكن أن فشلت لابد أن يكون هناك حل بديل.**

قبل أن تهم بالانصراف رمقته بنظرتها الغاضبة

- **تذكر أن سرك معي وإلا أوشيت بك وأنت تعلم ما أستطيع فعله ويمكنك سؤال أخيك عن ذلك.**

لـزم مكانــه ولم يتحـرك ولكنه أعـاد التفكير لحيلة أخـري يتمنى نجاحها من أجل إقناعها والحيلولة دون افشاء سره.

******

مرت أيام بعد ذلك وذهب إلى والده ليفاتحه بأمر الزواج منها، فرح والده في بادئ الأمر وفور أن ســأله عن والدها وعمله استشــاط غضبا وطرده خارج مكتبه، عاد مسرعا إلى والده بعدها ليعتذر له ووعده أنه سينسي أمر هذه الزيجة.

نظر والده إليه

- **أنت لا تستطيع الوفاء بوعدك، انصرف من أمامي الآن.**
- **يبدوا أنني فشلت بتربيتك، ألا تنظر إلى أختك العاقلة.**

فــور أن ســمع حديثه عن أخته انصرف إلى غرفتــه، حاولت والدته التهدئة من غضبه ولكنها فشلت.

في اليوم التالي هاتفها وعرض عليها أما الزواج بعيد عن أهله حتى

يســتطيع تذليل العقوبــات أو عدم الحديث مرة أخــري، توقع منها أن تغلق الســماعة ولكنها لم تفعل واختــارت الخيار الأول ولكنها أضافت لهذا الخيار خيارات أخرى.

ربمــا أرادت أن تحــارب معــه من أجــل حبهما وربما أمــور أخرى جعلتها توافق دون تردد.

******

تقدم إلى والدهــا لخطبتها وهمّ بالحديث عن ظــروف والده ولكنه قاطعه

- **اتفّهم الأمر يا بني.**

واتفقا على الخطوبة على أن يكون زواجهما بعد ثلاثة أشهر واتفقا على ذلك.

جلســت بجواره لتهديه وردة صغيرة وهــو أحضر لها أنواع فاخرة من الشكولاتة مرسومة على شكل قلب يتوسط منتصفها حروفهم الميم من معتز والســين من سعاد وعلبه صغيرة تحمل أسورة وأخرى تحمل سلسلة وارتدت هي المحبس والدبلة.

جلسوا سويا تبادلوا معاني الحب والغرام وبعدها انصرف وتكررت الزيارات ومر أســبوعين على خطبتهم وبعد ذلك حاول البدء في إقناع أهله بالزواج تارة يحاول مع والده ويفشل وتارة أخري مع أخته.

ورأي أن مفتاح السر في تقبل زيجته هي أخته زينب ولكن لا يعرف كيف يكون طريق الوصول إليها ففكر قليلا ولجأ إلى حيلته للايقاع بها في زيف ادعاءه.

******

الفصل الثالث

الفراق

تستطيع أن تقول وداعا لمن أحببت ولكن أن تتشعر بمعني هذه الكلمة
وخطورتها بما تحمله من أوجاع للطرفين فستتراجع خطوات وخطوات
قبل أن تتفوه به مرة أخرى وتستبدلها إلى اللقاء.

أحيانا تعتقد أن الأمور تســير بالكيفية التي خططت إليها وطمحت فيها ولكنها تفاجئك دوما بالمستجدات الجديدة التي لم تكن تتوقع أو تتخيل حدوثها في يومٍ ما فالعمر يمر ولكن الأحاسيس تتغير والمواقف تتبدل وكذلك السلوكيات والأخلاقيات.

عالم يتطور ويتقدم ولا يتأخر، استمرارية الأوضاع لا تدوم وأحداث الحاضر أصبحت ذكريات المستقبل.

كان قديمــا يقال «دوام الحال من المحال» نعم تســتطيع أن تطبق هذه القاعدة على كل شيء فتارة يتغير الحال إلى الأفضل وتارة أخرى إلى الأسوأ ولكن هذه القاعدة ربما تحمل استثناء لمن فارق الحياة.

******

وقف معتز منتظرا الهاتف من رفيقه فقد مرت ساعتين على الموعد الــذي تــم الاتفاق عليه، قطــع الطرقة ذهابــا وإيابا وهــو لا يدري هل ســيتحقق حلمه الذي حارب وضحى من أجله أما ســيحمل القدر له ما لم يتوقعه أو يتخيل حدوثه.

رن الهاتف فســارع إليه ولكن كان الاتصال من أخته زينب فحاول إنهاء الحوار بسرعة كبيرة جدا وباضطراب لم تتوقعه.

وبالفعــل أنهى المكالمة ولكنه تفاجأ برســالة عبــر الهاتف وصلته للتو من رقم غريب.

كانت محتواه « تم التنفيذ «

تنفـس الصعداء فالآن أصبح سـعيدا جدا وقد فتحـت له كل أبواب السـعادة ولكنه سـاوره القلق مرة أخـرى فأراد قطع الشـك باليقين فحمل هاتفه ليتصل به.

ولم ينطق إلا جملة واحدة

- **هل كل شيء على ما يرام وأحوالك بخير.**
- **نعم أننا بأفضل حال وأنتظر أن تعلمني بحالك.**
- **قريبا إن شاء الله.**

أغلق سـماعة الهاتف وانطلق مسـرعا لينعم براحة من كمّ المتاعب التـي حاطته في الأيام الأخيرة وأصبح الآن همه الأكبر التخلص من كل ذكريات الماضي الأليم وما تحتويه من آلام وأشجان وأن يبني مستقبله الآن لخلق حياة ترف جديدة ينعم بما تبقي له من حياته.

******

وقفت أمامه متحدية لتكشـف عن وجهها الآخـر الذي لم يعتد عليه من قبل.

- **أنني لم أتزوجك كي تنعم أنت بفيلتك وأتعذب هنا في هذه الشقة مع ابني، لابد أن تجد حل مع والدك.**
- **والدي عنيد وسبق أن أخبرتك بذلك ألا تتذكري لابد من الصبر.**
- **وما المانع**

وسكتت برهة وهمست

- **أن تنال منه.**

صفعهـا كالمجنون علـى وجهها وبدأ يضربها بقسـوة حتى كادت تفقد حياتها

- **كيف تقولين ذلك أنه والدي أيتها المجنونة؟**

غادرت باكيـة إلى غرفتها تنفـرد بأوجاعها تلملـم جراحها بجوار ابنها الذي لم يتجاوز عمره السنة الأولى، بعدها توعدته بالانتقام.

رحل عنها وقد تبدل حاله كثيرًا فأصبحت هي العائق الوحيد لكل ما خطط ورسـم له منذ فترة، الآن تريد أن تفقده كل شـيء بجرأتها التي كانت تخفيها في السابق.

أرادت أن تجـد حـلا لهذه المأسـاة التـي وضعها فيهـا فهي تريد السعادة لها والمستقبل لابنها.

عزمت أن تصارح والده الثري فذهبت بمفردها وجعلت طفلها بعيدا عن صراعها المحتمل اقتربت من فيلا والده وهمت بعبور الطريق ولكن لم تنتبه لسـيارة قذفت بحياتها لتنتهي آلامهـا فكان مصيرها مرهون بعجلات السيارة التي أنهت حياتها بلا رجعة.

غادر السـائق مسـرعا ليغادر المكان وسـط اسـتنكار من الأهالي ومحاولة من أحدهم للحاق بالسائق المتهور ولكن دون جدوى.

حـاول الأهالي إسـعافها لكنها توفـت في الحال تاركـة كل الألغاز خلفها وخلفت غموض حول مصير ابنها.

******

ذهب معتز إلى شقته ليبحث عنها فلم يجدها ولم يستطع الحصول على طفله، وجد رسالة مدونًا فيها ابنك لن تراه إلا إذا رجعنا إلى الفيلا لنسكن بجوارك وننعم بمثل ما تنعم به.

أغلق الورقة التي تركتها واشتد غضبه من فعلتها وتوعدها بالانتقام والنيل منها لتكون عبرة لمن تقف عائقًا في طريقه.

ذهب إلى والدها لعلها هناك، فوجد سرادق للعزاء وسأل عمن صاحب هذا العزاء فعلم أن صاحب العزاء هي زوجته، جن جنونه وأقترب والدها منه.

– **أتأتي للتظاهر بعد أن قتلتها واختطفت ابنها أيها الأحمق.**

صعق من الرد فنظر اليه

– **لم أقابلها منذ الأمس**

ولثواني غاب عن عالمهم وهو يقول بفزع:

– **أليس ابني معكم؟**

– **لقد رحلت صباحا وهي تستشيط غضبا منك أيها المجنون**

احتد بينهم النقاش حتى تحول إلى شجار عنيف ولولا تدخل الناس لتفرقتهم لتطور الأمر إلى وفاة أحدهما.

غادر العزاء متحملا على آلامه وبدأ يبحث عن ولده في كل مكان فابنه لم يكمل عامه الأول بعد.

بحث في كل مكان لأيام متتابعة وكذلك ساعدته في البحث أخته زينب التي تزوجت معه في نفس اليوم ولكن الفارق أنها غادرت فيلة

والدها هربا من أجل حبها وهو لم يغادر بل استمر معه من أجل إقناعه بما فعل.

الآن رحلت من حاربت من أجلها لكي يظفر بحبها ولكن دوام الحال من المحال.

******

أيام قاحلة قضاها في هذا الملجأ المقفهر ولولا صديقه عماد ودادة زينب ما تحمّل الحياة فيه كان الأول صديقه الوفي الذي دائما ما يتسع صدره له يخفف عنه ويمسح دمعه تكونت بينهما رابطة من نوع خاص رغم أن عماد يكبره ببضعة أشهر إلا أنه كان له بمثابة الأب.

أما الأخرى فاحتوته بحنانها ولا يدري لما تعلق بها ألهذا الشبه بينها وبين أمه، أم للين جانبها الذي تميزت به أحيانا يظن أنها تخصه برعاية خاصة من جانبها ولكن عندما يجدها تعامل غيره بنفس طريقته يعلم أن هذا ما جُلبت عليه.

قاسية هي حياة الملجأ لم تكن تناسب هذا الولد المرهف الحس رقيق المشاعر عانى كثيرا في عامه الأول خاصة في الطابق الثاني فالمبنى يتكون من طابقين الأول غرفة المديرة وغرفة للمشرفات وثلاث عنابر للنوم والثاني باقي العنابر وغرفة الحبس الانفرادي التي كانت سر تعاسته فهو ضيف ثقيل عليها دائما وبعد مرور أعوامه المتتالية كان قد اعتاد عليها حتى أنه لم يحاول الهرب ولو لمرة كباقي زملائه فإلى أين يذهب وهو وحيد في هذه الحياة ولولا تلك الصورة التي احتفظت بها دادة زينب وأعطتها إياه ما علم من حياته شيئا مشاهد

متقطعــة كومضات صغيرة تضئ تلابيب عقلــه يتذكر فيها تلك المرأة التــي في الصورة وهى تدغدغه .. تضمه .. تمســح على شــعره .. كلها لحظــات حنــان لا يدري لما فعلت به أمه هذا ليتهــا لم تخطئ ليتها لم تلده ليتها .. ليتها ..

ولكن ومضة واحدة تحيره هي بالتأكيد لرجل مجهول الملامح فاقد الهويــة أهو أبيه أم إنه عمه لا يــدري ولا يريد أن يدري فها هو يتحرك بين الأحياء كميت بلا روح.

يتفكر في اســمه أهو حقا يحيى أله من اســمه نصيب أم أن اســمه ميت رغم ما ينبض به من روح؟!

حياة اعتاد عليها في هذا الملجأ، حياة بلا رفاهية أو تغيير، حياة بلا ســعادة أو تمييز، كل ما فيها أشــبه بمعالم أو مدرسة خاصة للتدريب على العنف برسائل ســلبية من المسئولين هناك والمدرسين بمراحلها التعليمية المختلفة.

انقضي عمره وحان وقــت الرحيل لخارج هذا الملجأ اللعين، ليودع صديقه وربما يودع معه حياة الســكون والحزن التي لازمته طيلة هذه الأعوام الماضية.

ولكن مع كل هذا لم ينس نصيحة أحد مدرسيه ذات يوما في الملجأ

"شخصيتك أنت من تصنعها وحياتك هي ملك لك، تحصد ما زرعته أنــت لا ما زرعه غيــرك، ربما يتعدى على حقك الكثيــر ولكنك أنت من تدافع عنه وأنت من تراعي وتنمي ما فيه"

هناك أمور يجب أن نعتاد نسيانها إذا ما لاحت أمامنا فلا زال أمامنا

مــن العمر الطويل والكثيــر لكي نحظى بحياة أقل كآبــة وربما تكون سعيدة.

حان لحظة الخروج إلى عالم تغيب عنه لمدة عشرة أعوام لم يعرف له والد أو والــدة كل الذي يعرفه الصورة التي أعطته الدادة إياها وهي تقول لقد وجدناهــا بجوارك ولكننا لم نعلم وقتها من صاحب الصورة فوضعت في المســتلزمات الخاصة بك وجهدت وقتها الشرطة بالبحث عن أهلك ولكن فشلت في ذلك أيضا.

******

وقفت زينب برفقة أخيها معتز يتشــاوران في الأمر وكيف ستكون خطة البحث وحضر سامر أثناء لقائهم وتغيرت معالم وجهه فور رؤيته لمعتــز وكتم ذلك في نفســه لأنه تعود مع زينب أن تكون مشــاجرتهم ومشاكلهم فيما بينهم فقط.

- **أهلا سامر**
- **أهلا معتز**

تدخلت زينب وتطرقت بالحديث دون مقدمات

- **أخي معتز توفت زوجته ويبحث الآن عن ولده.**
- **البقاء لله يا معتز، وربنا يرحمها ولكن الولد صغير جدا.**
- **لا أخفى عليك يا سامر، حدثت مشادات بيني وبينها قبل حادثة وفاتها، وربما أرادت إخفائه عني وهروبها هي أيضا.**
- **ولماذا حدث ذلك؟**

– **طلبت مني السكن في فيلا والدي وأنت تعلم أنني أخفيت الأمر عنه.**

فكرت زينب قليلا ثم دفعها فضولها للتدخل بالحديث

– **ربما أرادت أن يكون بصحبة بعض صديقاتها حتى تسترجعه.**

– **توقعت ذلك فبحثت وراقبت كل من تعرفهم ولكن كان الأمر دون جدوى، بل وتتبعت تحركات والدها وأخيها وبالطبع أخفيت الأمر عن الشرطة حتى لا تكون كارثة عند والدي وزوجتي الأخرى.**

قاطعه معتز

– **وهل علمت بأمر زواجك.**

– **لا فقد أخفيت ذلك عنها.**

– **ولكنها ربما علمت فأرادت أن تكيد لك.**

فكر معتز مليا وأدرك الآن سـر إصرارها على السكن بالفيلا، فربما هناك من أعلمها بأمر زواجها.

******

دخل المشرف العام على الملجأ معلنا لمن سيرحلون عنه أنه هناك محاضرة لهم من أستاذ جامعي يحدثهم فيها عن عظماء بدؤوا حياتهم بالفقـر والتغرب ثـم أصبحوا من مشـاهير العالم وعظمـاؤه وأصبح اسمهم يُخلده التاريخ.

أوصاهم بالالتزام بالأدب والصمت لكيلا يمكثوا فترة أخري بالملجأ في غرف التعذيب.

– **وماذا يدفعنا للحضور إذا طُلب منا أن نلتزم الصمت؟**

كان هذا السؤال بمثابة صفعة انطلقت مسرعة لتعلن ملامسة جبين المشرف.

– **سأتلاشى اليوم الحبس الانفرادي لمن يعترض منكم وسأجيبك على سؤالك الأحمق، نظام جديد أحدثته الوزارة لتتلاشي عنف خريجي الملاجئ أمثالكم بالتوعية التي هي والعدم سواء لأمثالكم، فأنتم لا يجدي معكم إلا الحبس في الزنازين.**

– **إذا ولماذا تسمحون لأمثالنا بالخروج من الملجأ لو كنا خطرًا على المجتمع.**

– **نسمح لك بالخروج لترى الجحيم يا بني الذي ينتظرك ولتُدرك الجنة التي كنت فيها.**

نظر إليهم جميعا بنظرة حادة تكاد تحطمهم بنيرانها

– **الأسئلة الآن انتهت والمحاضرة غدا ومن سيخالف سينعم بإعاقة تلازمه طيلة حياته بعد مغادرته هذا الملجأ وربما تكون مساعدة في دخل يومي له بالتسول بين الطرقات.**

******

دخل سـامر غرفتـه وعلامات الغضـب تلازمه وتأبـى إلا أن تكون برفقته في غرفته وهي بدورها لاحظت عليه ذلك فإنه زوجها.

بادلتـه نظرتها وكأنها تحـاول منع عاصفة غضبه التي سـتنطلق ولكن تجهل سبب بركانه وغضبه.

وقطع صمته وتحدث إليها:

- **ألم أبلغك من قبل بألا تفتحي الباب لأي حد.**
- **إنه أخي يا سامر.**
- **فليكن ما يكون أنا صاحب البيت وأنا من يسمح لمن يكون بداخله، لا تخالفي شروطي مرة أخرى.**
- **هل تزوجتك يا سامر لكي تحبسني هنا؟**
- **لم أمنعك من المغادرة والتسوق ولكن لن أسمح لأي أحد بالتواجد في غيابي حتى لو كان والدك.**
- **أفهمتِ؟**

لم تدرك سـر غضبه، فلم تتعود من قبل على ذلك، هل يحمل أسرار يخفيـه عليهـا، ولماذا تبدل حاله الآن، حدثت نفسـها هـل أتحمل هذه العيشة معه وهو من أحببت.

جلسـت بالجانب البعيد مـن غرفتها تكتم حزنهـا وذرفت دموعها ولكنه كان أمامها يطلب ودها متناسيا ما حدث بينهما منذ قليل.

- **أنني أحبك زوجتي ولن أسمح لمن يعكر صفو سعادتنا.**

ونظر إلى طفلتهم التي ينتظرونها

- **إننا ننتظر مولودتنا مريم بما تحمله من معانٍ جميلة، ولابد أن نجيد تربيتها ونقوّم أخلاقها معا.**

تقدمت إليه بخطوات متقاربة

- **لابد ألا تكون عائقًا بيني وبين أهلي فإني أحبك وأحبهم أيضا فهم**

من تربيت في أوساطهم وهم من تنازلوا عن رفاهيتهم من أجل رفاهيتي، لابد أن تدرك ذلك.

- **أدرك ذلك حبيبتي.**

دومـا تعلقت زينب بزوجهـا فقد كان مصدر سـعادتها والمخفف عن جراحهـا وآلامها فبعد رحيل أخيها محمود عـن دنياه وهو يحاول التخفيـف عنها فقد منعهـا والدها من حضور الجنـازة وكذلك تجنب الحديث معها تماما.

حاول هو بدوره الحديث مع والدها لتخفيف ما حدث سـابقا وفتح صفحـة جديدة إلا أنـه أدار ظهره له معلنا انتهـاء الحديث وأمر الأمن الخاص بفيلته بطردهم وإذا أتوا مرة أخرى لا يسمحوا لهم بدخولها.

غادرت برفقته وخفف عنها فقد ضحت من أجل الزواج ممن تعلقت قلبها به وشاركته همومها.

ركنـت بعدها إلى غرفتها لتنفرد ببكائها ربما خافت أن تخسـر كل شيء فقد تركت أهلها وربما يأتي عليه الدور ليتركها وتصبح بلا أنيس أو جليس كل هذه الهواجس والكوابيس راودتها.

صبرت نفسـها تارة بحبه لها ولكنها تشـعر أنه يكتم عليها سرا ما ولا يريد البوح به وكلما ألحت لمعرفة هذا السـر، لا يستجيب لها معللا عدم وجود أسرار يخفيها عنها.

هددتـه ذات مـرة إذا علمت بـأن هناك ما يخفيه عنها سـترحل بلا عـودة فالفرصة أمامه الآن ليبوح بما يخفي ولكنه صمت أمام تهديدها وأصرّ على ألا يوجد أي أسرار يحتفظ بها.

– ******

جلس معتز يخلو بذكرياته وكيف وصل الي هذا الترف من السعادة بتخطيـط محكم، هـل حان الدور للخلاص من أخيه الذي بات يسـبب لـه العناء ومفتاح لكل الأسـرار التي أحتفظ بهـا، ام يجعله في براثن النسـيان حيـث التعذيب الذي يسـتحق أن يتجرعه، فكـر مليا وألتقط الهاتـف ليتحـدث الي ضابط تعـرف عليه من خلال والـده، وحكى له وقتها عن زنزانته التي يأمر وينهي فيها كيفما شاء، فلم يتردد كثير في الإبلاغ عن أخيه ليكون نزيلا عند هذا الضابط ينعم بضيافته!

******

الفصل الرابع
العصامي

أن تكون إنسان مشهور فلك الحق أن تفخر بذلك ولكن الشهرة وحدها لا تكفي فتاريخك ومواقفك هي ما سـتبقى لك فإما أن تكون لك بصمة في الأعمال الخيرية ويتحاكى الناس بها أو ما يضاد من عالم الجريمة والنفاق، لكن بالطبع لكل موقف اسـتثناء فربما هناك شـخص يحمل هذا الهجين من الصفات الخيرية وما يضادها.

طبيعــة الفرد أو نشــأته في هذه الحياة ليســت بيده ولا يســتطيع التحكم لمن ســيكون ابن من؟ ولــو كان بمقدوره ذلك لتمنى أن يكون ابــن لوالد غني يســتطيع أن يلبــي له كل رغباته وربمــا بعضنا يود أن يكون ابن لرجل مثقف الفكر ويصبح ابن هذا العالم المشــهور وكذلك المعظــم بالطبــع لا يتمنى أن يكونــوا أباءهم من الفقــراء أو لا يجهل القراءة والكتابة.

ولكننــا نجهل دوما أصل الأشــياء بمعني ما هي ســيرة هذا الرجل الغنــي وكيف اجتهد لكي يجني هذه الثورة الضخمة وكذلك كيف لهذا العالم أن أصبح مشــهور جدا وكذلك الممثل هل اجتهد لكي يصبح في عالم المشــاهير ولو تطرقنا لهذا الحديث سنجد أن معظمهم لم يكونوا أباءهم من طبقة الأثرياء والمشاهير.

لاحظ المحاضر أنهم بدؤوا يستسلمون إلى النوم فأراد خلق جو من النقاش فتوقف عن الحديث لمدة دقيقتين حتى ينشــأ حالة من الانتباه ثم أمرهم جميعا بالوقوف وبالفعل امتثلوا لأمره إلا واحدًا فقد استسلم للنوم تماما.

تحرك بخطوات مســرعة إلى المســتغرق في نومه، وأمره بالوقوف فامتثل لأمره.

- **هل تتذكر عند ماذا توقفنا؟**
- **لا أتذكر.**
- **هل تعتقد هذه المحاضرة من الممكن أن تكون ذات نفع لك بالمستقبل؟**
- **بالتأكيد لا**

صدمته الإجابة ولكنه أعجبه جرأته فاستكمل سؤاله التالي

- **إذا خُيرت أن تختار والدك فمن تتمنى أن يكون؟**

- **رئيس الجمهورية بالطبع.**

- **لماذا؟**

- **لأنه يتمتع بكل أبجديات الرفاهية، الأمر الناهي ليس عليه سلطان.**

- **ولماذا لا تكون ابن عالم مشهور أو أستاذ جامعي؟**

فكر مليا وبدأ يستجمع إجابته

- **أيهما أفضل من يمشي برفقة حرس خاص ويحرص الكبير والصغير على رضائه أم من فقط يذكره الطلاب بعلمه وحسب ولا يشفع ذلك لأولاده بالمستقبل.**

ركـن الأسـتاذ إلى الكرسـي وقبـل أن يسـتكمل حديثه أشـار إليه بالوقوف مرة أخرى.

قبل أن أجيب على سؤالك

- **ما أسمك يا فتى؟**

- **يحيى**

اسـمع يا يحيى معظم من حكموا وأصبحوا رؤساء أصبح أولادهم في طي النسـيان وفور اغتيال أبائهم أو رحيلهم أو تولى غيرهم أصبحوا بلا حراسة وبلا أي امتيازات بل هناك من تم القبض عليهم لأنهم أفسدوا في هذه الحياة باستغلال سلطة أبائهم.

- **ولكن أليس الأمر يحمل استثناء في بلادنا العربية؟**

لم يدرك الأسـتاذ وقتها أنه أمام شـخص يحمل من الذكاء الفطري الكثير والكثير بعكس ما توقعه عندما وجده مسـتغرقا في نومه وربما الآن يود أن يستسمحه لكي يعود إلى النوم مرة أخرى.

كانت نظرات المشرف ترمق يحيى في غضب شديد وكأنه تعدى كل الخطوط التي رُسـمت له، بل هو من صنع لهم خطا جديد يمنعهم من الأجوبة على أسئلته التي تضعهم في موقف قانوني سيسألون عليه.

تجاهل الأستاذ سؤال يحيى عن عمد وبدأ في الحديث مرة أخرى.

- **إرادة الله تجعل منا الغني والفقير وليس الجميع متكامل بالكمال الأخلاقي والمالي بمعنى أنه هناك من أنعم الله عليه بالمال ولكن لم يُنعم عليه بالذكاء الفطري وربما فقد سمعه أو بصره، وهناك أيضا من أنعم الله عليه بالعلم والذكاء ولكن حرمه من المال.**

صمت الأستاذ برهة وكأنه يزن كلماته القادمة

- **إنها إرادة الله وغرس صفة التوكل عليه بما تعنيه من معني وهناك فرق شاسع بين التوكل والتواكل,أنت من تستطع العمل والتوكل عليه وتضع لنفسك حظا من الدنيا وأيضا لابد ألا نتجاهل أن الصفات الحسنة والأخلاقيات الرائعة هي التي سترفع من درجاتنا بالآخرة.**

نظر الأستاذ الى الطلبة وكأنه يتأمل ملامحهم بصور متسارعة

- **لابد أن أنبهكم الآن إلى علماء لم يكن لهم رصيد من المال أو بيئة تشجعهم على الإبداع وأصبحوا من العظماء بل ظلوا حديث التاريخ حتى الآن, وخير مثال علي ذلك إسحاق نيوتن**

– **بدأ يسترسل الأستاذ من كتيب امامه عن سيرة أسحاق نيوتي**

فقــد ولد بعد وفــاة والده بثلاثة أشــهر، كان يعمل مزارعًا واســمه أيضًا إســحاق نيوتن. جاء والدتها المخاض وولدت ابنها بعد ساعة أو ساعتين من منتصف الليل وكان القمر في تلك الليلة بدرًا، ونظرًا لولادته مبكرًا فقد كان طفلاً ضئيل الحجم حتى أن امرأتين كانتا تعتنيان بأمه أُرسلتا لجلب الدواء من الجوار ولكنهما بدلاً من أن تسرعا في جلب ذلك الدواء قررتا أن تستريحا في الطريق ظنًا منهما أن الطفل المولود ربما قد فارق الحياة بسبب حجمه وعندما بلغ الثالثة من عمره، تزوجت أمه وانتقلت للعيــش في منزل زوجها الجديد، تاركةً ابنها في رعاية جدته لأمه، لم يحب إسحاق زوج أمه، بل كان يحس بمشاعر عدائية تجاه أمه لزواجها منه. ورغم كل هذه العوائق التي وقفت في نشأته إلا أنه أصبح عالم في علم البصريات له نظرياته ومحاضراته التي ظلت مرجعا لكل طُــلاب العلم حتــى يومنا هذا وأشــتهر بقانون الجاذبية الشــهير ومن المؤكــد أنكم تعرفون هذا القانون، غدا ربما نرى إســحاق نيوتن جديد بينكم يتحدى كل شيء من أجل أن يكون إنسان ناجح يشار له بالبنان.

– **قاطعه يحيى ووقف ليقذف بسؤاله.**

– **أنك تتحدث عن غربي برع وتربي في الغرب وفارق الثقافة هذا يجعلنا نعيش في دولة نامية تُدفن فيها المواهب من أجل أصحاب الأموال والنفوذ.**

رمقه المشــرفين والمحاضر أيضا وبدأت علامات القلق تظهر على وجه المحاضر ربما ود أن يُسرع في إنهاء هذه المحاضرة.

استجمع قواه وأراد أن يبدأ بالتعقيب بأسلوبه الذي يستخدمه وسط طلابــه فقد أدرك أن هناك من يفهم الحياة حتى وإن كان ســجينًا بين

جدران هذا الملجأ.

– **قبل أن أجيبك لابد أن نتعلم سويا بعض التربويات الهامة ,لا يجوز أن تقاطع كلام محاضر أو مشرف أو من هو أكبر منك سناً بلا استئذان، نستأذن أولا**

ورمق الجميع بنظرة تحذيرية

– **ثانيا من يقف ليسأل أو يُعقب يعلمني باسمه وماذا يريد أن يكون بالمستقبل حتى يكون بيننا تعارف حتى إذا أصبح نابغة أتذكره.**

ثم أشار ليحيي

– **هل لك أن تقوم بهذه الخطوات مرة أخرى يا يحيى.**

– **حسنا**

رفع يحيى يده ولكن الأســتاذ المحاضر تجاهله لكي ينتصر لنفسه ولقواعده ولم يعط له أي اهتمام وبدأ بالتكملة.

– **أيّا كانت ثقافة الدولة فثقافة الفرد وإرادته تطغى، له هدف يرسمه ليحققه حتى لا يصبح هدفه سرابًا، فمعظم من نعرفهم من العلماء لم يكن عالم إلا بقبوله التحدي والمحاولة وسأذكر لكم مثالًا الآن من مصر حتى أكون رددت على تعقيب زميلكم يحيى.**

تبدل وجه يحيى بالســعادة لذكر المحاضر اســمه فتابع المحاضر حديثه

– **سأسوق لك مثالا يا يحيى لقد قلت لي سابقا أنك تود أن تكون ابن رئيس، فإليك مثلا محمد نجيب ولد لأم مصرية سودانية المنشأ ولد بالسودان وكان والده مزارعا له أخان وست أخوات بنات وتوفي**

والده عندما بلغ الثالثة عشرة من عمره اجتهد بتعليمه وتحمل مسؤوليته حتى أصبح أول رئيس لجمهورية مصر العربية بعد ثورة يوليو.

رفــع يحيى يديه مســتأذنا بالســؤال مرة أخرى، فســمح له المعلم بالوقوف لكي يطرح سؤاله.

- **ماذا لو كنت أتمنى أن أصبح رجل أعمال فهل يمكنني تحقيق ذلك؟**
- **هل لي أنا أسألك سؤال يا يحيى.**
- **تفضل.**
- **قلت إنك تريد أن تصبح الآن رجل أعمال، لماذا؟ وهل تفضل أن تكون ثريا أم تكون صاحب علم؟**
- **أردت أن أكون أنا من يُغدق الأموال وليس كمن ينتظر أن تُغدق عليه، أردت أن أكون صاحب مكانة اجتماعية والكل ينظر إليّ بعين الود والاحترام والتقدير.**

ثم نظر لأستاذه وكأنه يستجمع كلماته المبعثرة لتخرج موزونة

- **الغني دوما بأمواله يصنع احترامه إنما المتعلم لا يصنع احترامه ألا توافق على كلامي؟**

نظر المحاضر بإعجاب شديد إلى يحيى

- **أوافق على أنه يصنع الاحترام الظاهري بمعني أن من حوله يصطنعوا النفاق ولكن الاحترام الداخلي من النفس والقلب لا يمكن التحكم فيهم بالأموال يا بني فهذا الاحترام يكون من حسن المعاملة والأخلاقيات الحسنة من احترام الغير وخلافه من**

التصرفات الجيدة، الآن ماذا تريد أن تكون كمستوى تعليمي؟

- **أريد أن أصبح محاضرا بجانب الثراء المالي أيضا.**

نظر المحاضر إلى يحيى بعيــن الإعجاب وأمر الحضور بالتصفيق له.

وأنهى محاضرته بشــكر الحاضرين على وقتهم وأهدى يحيى كتابا عنوانه "كيف تكون إنسانا ناجحا" وربما زالت حدة التوتر التي طغت على الحديث منذ بدايته.

******

جلــس يحيى على ســريره مســترجعا كلمــات المحاضــر فقد كان حِــرص إدارة الملجأ على أن تكون هناك محاضرة قبل أن يســمح لمن تجاوزوا عمرهم بالمغادرة

وبدأ يتفحص الكلمات التي تحويها الكتاب ولم يدرك النوم إلا عندما انتهى من قراءته تماما وشعر بالراحة النفسية بعدها.

******

بعــد مرور أيام من رحيله عن الملجأ برفقة صديقه عماد كان هناك مــن ينتظر خروج أمثال هؤلاء الشــباب فشــغلهم أصبح محجوزًا دون واســطة وخلافه ولكن ربما يُجلب عليهم المتاعب مرة أخرى من سجن التهذيب إلى سجن أشد عنفا.

وجد نفســه بينهم فرحًا في بداية الأمر بتقمصه دور الشرطي الذي

يقوم بتحصيل ما فرضه رئيسهم على أصحاب السيارات الأجرة.

ليكـون له نصيب من ذلك في آخر اليـوم ولكن النصيب الأكبر كان محجـوزا لضابط الشـرطة الذي يحدد أماكـن تواجدهم باتصالاته مع كبيرهم.

وتارة أخرى يكون له نصيب الأسـد إذا تمت سـرقة سيارة وأصبح صاحبهـا في طي البحـث عنها فيتعهد لهـم بدفع مبلـغ مالي مقابل العثور على سيارته وتتنوع أمور السرقة.

اكتسـبوا بعد ذلك شرعية وجودهم من هذا الضابط ومكانهم أصبح معروفًا ومن يمر يستسلم للدفع نجاة من الأذى الذي سيلحق به وربما تكون المخالفة أيضا شرعية من هذا الشرطي شريكهم.

انسـجم معهم في بداية الأمر ولكـن رق قلبه عندما اعتدوا أصحابه على أسرة ونال الأذى طفلهم فبادر لا إراديا بالدفاع عن هذه الأسرة في وجه أصحابه وبالفعل توقفوا بعد أن انقسـموا في الرأي فالاعتداء على الأطفال ليس من شيمهم.

غادرت وقتها الأسرة بسيارتهم ولكن لم تغادره الآلام في البحث عن أسرته، فهو لم يعلم عنها أي شيء سوي هذه الصورة التي يمتلكها.

بعـد هذا الموقـف قرر البحث عن وظيفة والرحيـل عن هذه الرفقة ولكن لم يصارحهم حتى يستطع إيجاد وظيفة.

كان يقضـي سـاعة مـن النهار فـي البحـث بالمناطـق الصناعية المختلفـة ولكن فور مطالعة أوراقه وعلمهم انـه كان بملجأ يرفضون طلبه واسـتمر على هذا الحال لأسـابيع ولكن يتم رفضه تزداد قسوته

على السيارات المارة في كمائنه.

لـم يدري وقتهـا أن الحياة خارج الملجأ سـتكون أعنف من الحياة بداخله.

وفي ذات يوم اجتمع بهم رجل أعمال شهير لاستخدامهم في تحطيم شـركة خصما لـه على أن يبـدأ بالفـروع وكان هذا الاتفـاق بحضور الشرطي الذي يشاركونه في أعمالهم بنصيب الأسد.

اعتـرض بداخله على هـذا الفعل ولكنـه وافق هواه فقـد يأس من الحصول على وظيفة من خلال تقدمه للكثير من الشركات.

لفظته الحياة دون ذنـب جناه أو خطيئة اقترفها وهل يؤخذ الناس بخطايـا غيرهم أتكـون جريمته أنه بلا أهل أو سـند، مالك أيتها الدنيا تدرين وجهك لي زادته هذه المشـاعر نقمة وسـخطًا على كل من نبذه ورفضه حتى على أهله الذين كانوا سببا فيما آل إليه حاله ليّتهم أحاطوه بدفئهم احتووه ليّتهم ما تركوه يسقط في بئر عميق .. سحيق .. إنه بئر الحرمان .. سـحقا لهم تبا لتلك الدنيا ومن عليها لن يتجرع مرارة الألم وحده سـيذيق كل من رفضـه ونبذه من نفس كأس الحنظل سـينتقم وينتزع ما تبقى له في قلبه من إنسـانية ليحيى في وسـط هذه الغابة المسـماة مجازا بالدنيـا وعندما يرى نظرات النـدم والألم في عيونهم عندها فقط سيشعر بالراحة لتلك العدالة التي سيحققها بيده.

اقتـرح علي زملاؤه النيـل من كل أصحاب الأعمـال بعد أن يحققوا نصيبهم من هذا الرجل واقترح عليهم تكوين تشـكيلات للسطو عليهم ومن ثم تدميرهم.

ذهبـوا إلى الشـرطي وفور أن اعلمـوه انتفض واقفـا ليوجه إليهم

– **هؤلاء هم أسيادكم، لابد من الانحناء أمامهم والتسبيح بولائهم.**

أراد وقتهـا أن يضرب الشـرطي ولكنه يعلم النتيجة مسـبقا فقرر بعدها الرحيل عنهم.

بعـد مغادرته وجد إعلان عن وظيفة تحتاج إلى عِماله وفور أن رأى الإعـلان ظهر الصـراع الداخلي ما بيـن القبول والرفـض .. الذهاب أو التجاهـل ولكن انتهى الصراع بعزمه إعطاء نفسـه الفرصة الأخيرة بل إعطائهم هم الفرصة الأخيرة لقبوله لأن بعدها سيكون الانتقام.

ذهب إلى الشـركة المذكـورة بالإعلان وكالمعتـاد بعد الاطلاع على الأوراق ومعرفتهـم أن حياته كانت بالملاجئ تـم رفضه فتعصب على المسئول وذهب إلى رئيس الشركة حاولت السكرتارية منعه واستدعت الأمن ولكنه شق طريقه إليه ووقف أمامه

– **ما ذنب أنني وحيد وخريج ملاجئ كي لا تقبلوني بشركتكم، أليس من حقي العمل؟**

نظر إليه متعصبا:

– **لان أخلاقك الهمجية التي تربيت عليها كما هو واضح الآن هي سبب الرفض**

حـاول الاقتراب منه أكثر ولكن رجال الأمـن وصلوا وحملوه بالقوة خارج الشركة.

ولكنه لم ينطق إلا كلمة واحدة

– **غدا ستندمون.**

******

شـهرين كاملين مرا على تلك الحادثة وهو يخطط للنيل ممن طرده وجعل مصيره مرتبط بالقسوة والعنف، يدّخر ماله من اجل شراء كتب تسـاعده في تنفيذ خطته، فضل أن ينفـذ كل هذا بمفرده، قضى أيامه ليلا ما بين قراءة الكتب ومشاهدة الأفلام الاجرامية والتدريب الشاق من شخص تعرف عليه من خلال زميله بالملجأ يجيد فتح الخزانة.

يذهـب أمام الشـركة ليدون بورقة صغيرة نقاط ضعف حراسـتها وأماكن الكاميرات وتتبع رئيس الشـركة ومسـاره اليومي وكذلك تتبع محاسب الشركة.

يقضـي الأيـام يدون ملاحظاته ويتـدرب لرفع لياقتـه البدنية ومع نهاية كل يوم يحسـب من خلال سـاعة إيقاف معدل سرعته في انهاء بعض المهام.

******

أصبحت الشركة عبارة عن خلية طوارئ واستعداد في كل مكان فقد انطلقت صفارة الإنذار ولا يدري أحد ما سر هذا وبعد أن غادر الجميع الشـركة واتجهوا لمعرفة السـبب كان يحيى موجـودًا في غرفة مكتب رئيـس مجلس الإدارة وقد هرول مسـرعا للصق صور ثابتة للكاميرات وبدأ ببطأ وتركيز شـديد يحاول فتـح الخزانة وما هي الا دقائق ونجح فـي ذلك وبدأ ينقـل الأموال الي حقيبته، حمل من الأموال ما يسـتطيع

حملــه وخرج مع الفارين من مهرب الطوارئ دون أن يلاحظه أحد فقد أرتدى زي الإطفاء.

كل فــرق الأمن منتشــرة في كل أنحــاء المبنــي، التفجيرات في كل مكان بسلســلة متتابعة وتوقيتات زمنية محســوبة بدقة بدأو يبحثون عــن أماكن التفجيرات ولكنهم عجزوا عــن الحصول على أي متفجرات بداخــل الشــركة، بعد التحري وجــدوا أن كل التفجيــرات كانت خارج المبني وليســت بداخله وهناك من استغل انشغال رجال الأمن بالخارج ليكتشفوا بعدها الطامة الكبرى.

إن خزانة رئيس مجلس الإدارة تمت ســرقتها بكاملها، وتمت سرقة الأوراق الهامة جدا.

أصبحت الشــركة كفرع مــن وزارة الداخلية الضباط والشــرطيين يتفحصون كل شيء وتحريات عن كل الموظفين ولكن دون جدوى.

من نصب الفخاخ أشــبه بلص محترف يعلم ما يفعل وكيف يخطط لعمليته بإتقان.

لم يحتمل رئيس مجلس الإدارة هذه الصدمة فأصيب بانهيار عصبي تم على أثره نقله للمستشفى.

وفي كل مرة يستفيق ينطق باسمها زينب.

انتبه ابنه معتز إلى اسمها وكلما نطق به كلما ازداد غيظا منه ولكنه كتم كل هذه الأوجاع بداخله.

******

ذهــب يحيي إلى بيته ليظفــر بكم الأموال التــي جناها ممن رفضه بالأمس وعزم على تأســيس شركة خاصة به ولكن انتبه أنه لا يجيد أي شيء كل ما تعلمه من حياة الملاجئ هو الضرب والقهر وبعدها نصب الأكمنة.

قرر أن تكون شــركته هي شركة أمن لحفظ الشركات من التعديات من قبل الأشــخاص وذهب إلى الشرطي ليعرض عليه مشروعه وأخفى سرقته لهذه الأموال وفور أن عرض عليه مشروع شركته استهزأ به.

- **أنت تنشأ شركة وتريدني شريك معك وانطلقت الصفعة مدوية.**
- **كيف تجرؤ على أن تعرض على مثل هذا الأمر.**
- **ألا تدري من أكون، أنا سيدك وسأظل كذلك وأنت عبدًا وستظل للأبد طوعا لي، أفهمت.**
- **لم تمنعه يده من رد الصفعة بأقوى مما لقيها بل وألقنه العديد من اللكمات ونزع منه مسدسه وأطلق رصاصته عليه ليصبح صريعا وخرج مسرعا من المكان.**

أراد توصيل الرســالة واضحة نحن صناعتكم ونحن كرباج علي من صنعنا ســواء كان المجتمع أم من يرعى مصالح المجتمع على حساب من فقد أسرته صغيرا.

جلس منفردًا في غرفته يتفكر في كيفية رســم مســتقبله وكيف له بالبعد عن هذا العنف أو الإفراط فيه.

يريد تكوين حياته وينسى ذكرياته التي جعلت منه نسيا منسيا عند هذا المجتمع الذي لا يقبل إلا أصحاب الأموال والنفوذ.

تذكـر ذلـك الكتاب الذي أهـداه له المحاضر فتصفحـه مرة أخرى وعزم على أن ينفذ ويسـتفيد من كلماته فأخذ يجول بخاطره ويتخيل نفسـه بأحداثه وبدأ يدون على كراسـة صغيرة أهدافه وخطواته لكي يصبح شخص يحيا بحياة جديدة وينسي العنف للأبد.

اشـترى حاسوبًا شـخصيا وبدأ يكثف من دوراته التدريبية ليعرف أسرار محاكاة هذا الحاسوب وبعض أن خلد إلى راحة بين المحاضرتين لفت انتباهه جريدة فبدأ يتصفحها.

لفت انتباهه مقال شـرّع في قراءته حول أفلام الرسـوم المتحركة بالغـرب وكيف نمت هذه الصناعة وأصبحت تحتل الصدارة عن الأفلام الأخـرى فقرر أن يخوض هـذه التجربة ولكن الأمـوال التي يمتلكها لا تكفي فبدأ يبحث عن شركات الإنتاج لعرض الأمر عليهم بالمشاركة.

قرر نقل محل إقامته إلى فندق بوسط القاهرة وبدأ من خلال الدليل الاتصال بشركات الإنتاج.

أنشأ صفحته على مواقع التواصل الاجتماعي باسم يحيي المصري، ووضع إعلان عن احتياجه للعمل لسيناريست وممثلين وأنشأ مجموعة خاصة بذلك.

وقـرر أن يكـون أول لقاء للمجموعة بمقهى وسـط البلـد فقد قرر أن يكون هناك اتصالات مع شـركات الإنتاج وأخرى مع السيناريسـت والممثلين لتنفيذ فكرة راودته دوما لمحاكاة قبول اللاجئ في المجتمع.

قرر استثمار أمواله في صناعة الأفلام ومن خلال البحث المتواصل تعـرف على مخرج والتقـى به على المقهى الذي أصبح مقر أساسـي لكل اجتماعاته.

وقد أطلقوا عليها مسمي جديد « قهوة الفن» وعرض عليهم مشروعه بفتح شـركة الإنتاج الهـادف فضحكوا من حولـه وصححوا له تقصد العكس فانتفض واقفا:

- **لا .... أقصد الهادف، من يحمل رسالة وقيمة للناس، تكمن الرسالة في قبولنا للاجئ أو للسجين أو للمسكين فجميعهم عصفت بهم الحياة خارجها وأن يكون لهم اسم يليق بهم لابد من محو كلمة لقيط من هذه الحياة.**

وقف المخرج معترضا على كلامه

- **هذه النوعية من الأفلام لن يشاهدها إلا القليل وستخسر أموالك بلا رجعة، الكل يفضل الكوميديا الساخرة.**

حاول التحكم في حدة غضبه.

- **ومن قال إننا لن نقدم كوميديا ساخرة، سنقدمها بالطبع في إطار يخدم الرسالة والهدف وأعتقد أن الطاقم الذي عرفته من خلال مجموعة الفيس يستطيع تقديم هذا الطرح.**

وقفت لتعترض على حديثهم:

- **كل هذا الكلام مُرسل ولا قيمة له إلا بتحديد أدوار وأهداف وسيناريو واضح فكيف تطلب فريقًا تمثيلا بلا سيناريو، تطلبهم من أجل فكرة راودتك فحسب.**

- **معك حق سيدتي، ولكنني أردت أن تكون المشاركة والطرح أمام الجميع.**

حضر أثناء حديثهم سمير الصباغ صاحب شركة إنتاج واستمع إلى

حديثهـم وأعجب بحوارهم الهادف وطلب منهم أن الاجتماعات القادمة ستكون بمقر شركته وفرح الجميع بالأمر وغمرت السعادة يحيى وجلس معه لينتهوا من بنود العقد علي فيلمهم الجديد وبدأ يوكل عنه محاميا من أجل الانتهاء من كافة الأوراق الرسمية.

كانت أرباح شركة يحيى حسب اتفاقهم أربعين بالمائة وباقي النسبة للشركة الأخرى على أن تكون النسبة متغيرة للأفلام الجديدة حسب إسهامات كلا منهما.

الفريق أصبح الآن متكاملًا من سيناريست، وممثلين وأطقم تصوير وكذلك مبدعي أفلام الرسوم المتحركة فقد حانت الفرصة أمامهم الآن لإثبات الذات.

انتشل يحيى معظمهم من الضياع إلى المستقبل وبالفعل شرع في الانتهاء من كافة الأوراق لينشئ شركة الإنتاج الخاص به وكانت اللافتة "شركة الهادف للإنتاج الفني والتوزيع"

وبدؤوا في توزيع المهام للانتهاء من السيناريو بأسرع صورة ممكنة وتم عرض السيناريو على اللجنة المختصة بقيادة المخرج ومساعديه وبالفعل نجحوا في تصحيح كل الأخطاء وعرض الأعمال الغربية أمامهم لتكون بمثابة تقويم لأخطائهم وأتفق المخرج من السيناريست وطاقم الممثلين على اسم فيلمهم " اللاجئ المليونير" طُرح الاسم من يحيى ووافقوا جميعا على اقتراحه وبدؤوا في الإعداد لتصويره.

كان شرط صاحب السيناريو أن يكون التصوير وإخراج العمل خارج إطار أي عمل لا يحوي رسالة للجمهور، أُعجب يحيي بالفكرة.

جلس يحيى مع السيناريست همام ليضع بعض الاقتراحات وإضافة بعض الحوارات التي أعجبت همام جدا وشك أن يحيى قد مر بهذه التجربة من قبل.

- **هل تعرف أحد عاش مثل هذه الحياة في الملاجئ؟**

صمت يحيى لفترة ولكنه تابع

- **نعم أعلم هناك من أراه كل يوم وينبذه الناس ولكنه رجل صالح.**

قاطعه همام وارتسمت علي وجهه ملامح الابتسامة

- **هل من الممكن أن يحضر معنا التصوير لنستفيد من تصوره لهذه الشخصية بالفيلم.**

تغيرت ملامح وجهه بالتعجب والتردد

- **لا أظن أنه سيحضر فقد فشلت في تعقب أثره بعد ذلك.**

- ******

جلس يحيى يخلو بذكرياته التي تحمل عتابا وجُرما اقترفه ما بين جريمة قتل وسرقة وربما برر لنفسه أن طبيعة المجتمع وحياته بالملجأ هي من دفعته لارتكاب هذه الجرائم، مال انتزعه رغما عن صاحبه، روح غادرت جسد الشرطي كان هو الفاعل، بالتأكيد المال حرام ولكنه أقنع نفسه أنه إذا قام بتوجيهه لعمل صالح أصبح هذا المال حلالا.

هكذا أقنع نفسه بالجرم الذي ارتكبه سابقا بدعوى الانتقام والعمل على توصيل الرسالة للناس التي تنبذ أمثاله من المجتمع.

يحمل في طيات نفســه الكثير من الخير ولكن أفعاله السابقة نفت صحة إدعائه تناســى حواره مع ضميره وعزم على تذكر الكلمات التي قرأها «النجاح صناعة وليست وراثة»

بدأ في الإعداد بقوة والمتابعة عن قرب لإنهاء فيلمه الأول الذي ينتجه ويحمل هدفا ورســالة، انتبه فجأة لحســناء تحاول الاقتراب من الميك لتجربــة صوتها وتكرار ما حفظته وفور أن وقعت عيناه عليها انتفض من مكانه واقفا وذهب ســريعا إلى المخرج ليعرض عليه أن يكون هو البطل وبالطبع كان ذلك في حضور الممثل الذي انتفض غاضبا

– **أتدري أن التمثيل بهذه السهولة، تود أن تخسر أموالك بجرأتك غير المحسوبة.**

نظر إليه وكادت ذراعه أن تغادر مكانها لولا المخرج فقد أصطحب يحيي بالخارج بعيدا عن الأستديو.

– **يا بني إن التمثيل ليس بالأمر الهين، لابد من أجادة الأدوار جيدا وتأديتها كما لو كنت فعلا خارج من الملجأ الآن.**

تبسم له واحتفظ بأسراره لنفسه.

– **يمكنك أن تجربني وإذا فشلت فلك الحق في أن تختار غيري.**

ذهــب برفقته لمكان العــرض والكل تأهب في مكانــه وأخذ ورقته وبدأ يسترسل

– **نعم، أنا من عصفت بي الدنيا لينبذني المجتمع، أنتم من جعلتم مني مجرما**

قالها بحدة وتابع.

– **والآن حان دوركم أن تجدوا إجرامي يهاجمكم، بسببكم أنتم نبذتموني بالأمس لتجعلوا مني مجرما يريد عقابكم اليوم، توسلت إليكم كثيرا أقبلوني بينكم فما ذنبي أن أنشأ في هذا الملجأ، أنا بالفعل المجرم الذي صنعتموه، الجبروت الذي تفانيتم في اضطهاده، أنا المال والسلطة، أنا فرعونكم اليوم أصنع لكم بيادة لكم تليق بظهوركم.**

قالها وفــور انتهاءه صفق بحرارة كل الحاضرين إلا تلك الحســناء التي نظرت إليه بلا مبالاة وكأنه تعنف رداءة أدائه.

غــادر الممثــل الرئيســي الصالة بعصبيــة واضحة وهــدد الجميع بمقاضاتهم ولكنهم تجاهلوه تماما.

ذهــب إلى الممثلة التي ســتكون أمامه ليتحــدث معها ولكنها همت بالانسحاب لولا أنه استوقفها:

– **هل تودي أن تتناولي العشاء معي؟**

نظــرت إليه باســتحقار شــديد ودت لــو تصفعه ولكــن وجدت أن كلماتها ستنوب عن الصفع.

– **تبا لك، أتعلم أنت أسوء ممثل رأيته بحياتي وسأنسحب من هذه المسرحية الهزلية.**

صدمته برأيها فعقّب

– **أتدري أنني لم أكن أنوي التمثيل من قبل ولكن فور أن رأيتك أحببت ذلك التمثيل.**

همت بالمغادرة ولكن استوقفها المخرج.

– **سنقوم بالعرض التالي غدا إن شاء الله فلا تتأخري يا مريم.**

– **أنني بالفعل لن أتأخر لأنك لن تجدني بالغد.**

نظر إليها متعجبا،

– **يا بنيتي ماذا حدث.**

– **ماذا نفعل هنا بالتحديد؟**

– **نقوم بالتمثيل لكي نقدم رسالة هادفة للناس.**

– **نعم نقوم بالتمثيل وليس بدورنا الحقيقي الذي نشأنا وتربينا وتأثرنا به.**

نظـر إليها ويبدو انه فهم تلميحها، كما لامسـت كلماتها قلب يحيي فـكادت الدموع أن تفضحه وتمزق هـذا القناع الذي يتوارى خلفه منذ سنوات أحقا علمت حقيقة الصراع الذي يدور بداخله الآن أم إن كلامها مجـرد هرطقة ووفاء لصديقها الذي فقـد دور البطولة تجاهل حديثه حتى لا تتحول الريبة إلى يقين وقال بهدوء متصنعا انه يمثل عليهم.

– **وماذا لو قمنا بالواقع لنصدر هذه القضية للناس كما هي أليست هذه هي البراعة؟**

غادرت المكان ولم تعقب ويبدو أنها عنفت نفسـها لأنه ليس وحده الواقعي بل هي الأخرى أكثر واقعية، في فيلمها تحكي نفس ما عاصرته من حياة.

غـادرت المكان بسـرعة ورفضت طلب يحيي وحـاول يحيى إقناع المخـرج بالإبقاء على الممثل الأصلي حتـى يتجنب تأخير الفيلم ولكن المخـرج فاجأه بإصـراره على أن يكون هو البطـل حتى لو بحث عن

ممثله غيرها.

******

ذهبت إلى بيتها لتجد والدتها التي أرهقتها هموم السنين فقد سافر زوجها منذ عشرة أعوام ولم يرجع ولا تعلم ماذا حدث له.

كان آخـر لقاء مشـاجرة كلامية حدثت بينهم فـور أن حكي أخوها معتز لها عن سر خبأه زوجها عنها طيلة هذه السنوات.

بعـد رحيله قررت زينب العمل وبـدأت بحياكة الملابس وتصنيعها بمقابل مادي وصرفت بهذا المقابل على ابنتها بالإضافة إلى مبلغ مالي يرسله أخيها كل شـهر، مريم التحقت بمعهد السينما ولكن كان شرط والدتهـا للالتحاق أنها إذا قُدر لها العمـل بالتمثيل ألا تخالف ما تربت عليه من قيم ومبادئ وقبلت هي ذلك.

نظـرت مريم إلى والدتها وقبلت يديهـا وذهبت إلى الغرفة الخاصة بها واستخرجت الكتب التي اعتادت النظر فيها.

كانت طبيعة مريم القراءة والنظر إلى المرأة لتقلد شخصية الرواية التـي تقرأها ففـي ذات مرة سـمعت والدتها صراخهـا فهرولت إليها وقلبها يكاد أن يتوقف فزعا فوجدت مريم تصرخ أمام المرأة وتبكي

فاقتربت منها

– **ماذا بك يا مريم؟**

تبدل صراخ مريم إلى ضحك بصوت عالٍ

– **لا شيء يا أمي فقط سأقوم بتمثيل شخصية الرواية التي أقرأها.**

عنفتها والدتها لأن ابنتها خطفت قلبها فهي ما تبقي لها من حياتها فقد خسرت كل شيء.

اقتربت مريم من أمها ونظرت إلى وجهها

– **معذرة يا حبيبتي، لم أقصد إخافتك وأعلم قلقك علي.**

احتضنتها أمها وكتمت ألامها ونزلت دمعات لامسـت شعر مريم فلم تسـتطع مريم إلا أن تشـاركها الدمعات، تذكـرت والدتها أنها تزوجت ممـن تصّنع الكذب عليهـا طيلة سـنوات، وعندما توفـي والدها رجل الأعمـال رحمه الله اشـتدت بالبكاء فقد رأت أن أسـرتها هي من كانت على صواب في أمر زواجها.

******

وما الحياة إلا تمثيلية صغيرة أبطالها من أغتني وأشرارها من حارب مـن أجل نيل مكانتهم والأخيار مطاه لكليهما من اجل تبدل الأدوار ولا ينالهم منهما إلا كرباج الألم والموت في أحيانا أخري.

ولكن هذا الجواد إذا نُزع منه قيده فهو ينطلق شرسا للنيل ممن قيد حريته ولم يحترم استقلاليته وظلمه دائما.

هم يعلمون جيدا ترويض هذه النوعية من البشـر فأمعائهم خاوية تضمـن ولائم برمي الفتات مما تبقي منهم، إما إذا شـعروا بنعيم زائد أو حرمان منقطع فانتظر ثورتهم لأبادتك حتى يجدون بديلا يستطيع التعامل معهم.

لا تتعجـب من حياتهم فقد نشـأوا تحت منطلـق "أن وجدنا أباءنا كذلـك يفعلون " وربما أراد الأبناء غرس مقولة خاصة بهم " انا وجدنا أبنائنا كذلك يفعلون"

وقف منتصرا على كل من أراد ان ينبذه، يزهو بالوقف ليفتح أبواب الشـهرة والمجد على مصراعيه، تخيل انه ذلك البطل الذي تزعم نقابة خريجي الملاجئ لينتفض بثورته على المجتمع.

أراد أن تكون رسـالته واضحة حتى لو بدعوي التمثيل أنبذونا أكثر ليقترب هلاككم بأيدينا.

تنازلـت عن كبريائها وقبلت بدورهـا الأول فهي لم تمثل من قبل إلا بـأدوار فرعية، مثلت أمامه دور الفتاة التي تسـاعد والدتها علي تحمل أعباء الحياة وفور أن رأته شاركته هذا الهم الذي تحمّله.

فبدورها عملت سـاعية بأحـد دور التمثيل وهو عامـل بوفيه وفور هلاك مسـرحهم لم يبقـي الا هو وهي ليعزفوا سـيمفونية خاصة بهم على جثث هذه الضحايا التي فارقت الحياة.

وتبدأ قصتهم بعد انقطاع رزقهم من هذا المسرح وبدؤوا في إنشاء مطعـم صغير خاص بهم تدبـر هو هذا المبلغ بالطبع من سـرقته ما تبقي من المسـرح بعد حرقه وبدأت تجارتـه تكبر من يوم لأخر حتى قرر أن يكون رجل أعمال.

كل ذلك تم تصويره بحرفية وتقنية شديدة جدا.

كل يوم ينقضي من أيام الفيلم يشـعر هو بسـعادة بالغة وهي علي عكسه تماما تذهب لتعمق جراحها وتداوي ألمها بمشاركة والدتها التي

تبحث عن زوجها الذي رحل عنهم.

لا تـدري ماذا تفعل هل تسـتكمل هذه التمثيليـة الهزلية وان كانت تمثل بعضا من واقعها أم تهرب منه إلى زيف التمثيل.

أعياها التفكير حتى استسلمت للنوم من إرهاق هذا اليوم، في اليوم التالي وفور أن دخلت مكان التصوير وقف أمامها قائلا

- **الواقع مؤلم جدا سيدتي، ولكن نحن من نصنع الحياة وليس هي من تصنعنا.**
- **نحقق الواقع بأيدينا رغما عن غيرنا.**

شـعر بتسـارع نبضات قلبه وذرف الدمعات مـن عينيه حتى فقد وعيـه، لم تدري نفسـها وهي تسـاعد بحمله مع زملاؤهـا حتى أكمل الطبيـب فحصه وطمأنهم جميعا كانت هي بالجوار أحسـت لأول مرة بتلك الرجفة التي تمس شـغاف القلب وتكون بداية دائما لذلك الشيء الذي لا نسـتطيع العيش بدونه فهو يسـتولى على عقولنـا وقلوبنا إنه الحب.

أسـتيقظ ليجدهـا أمامه أراد سـحب يديـه ولكنها لم تـدع له هذه الفرصة فانتزعتها سريعا.

أعتـذر منها علـى ما فعل وقبلـت بذلك بحركة من رأسـها دون ان تتحـدث، تمر الأيام وأوشـك فيلمهم أن ينقضي وبالفعـل أكتمل أخيرا وفـور عرضه على اللجنة همت برفضه لولا الأموال التي تلقوها لتمرير هذا العمل.

صار الضجيج حول هذا الفيلم الذي ناقش قضية اجتماعية خطيرة

جـدا لم يتطرق لها أحدا من قبل بهذا العمق , وفي اليوم الأول للعرض الخـاص بالفيلم شـاهدوا نظرات الانبهـار والتأثر حتـى أنهم لاحظوا تسـاقط الدموع من السـادة الحضور فتيقنوا من نجاحهم, حصل هو علي إيرادات لم يتوقعها من هذا الفيلم وهي أيضا حصلت علي شـهرة واسـعة وأهداها سـيارة فخمة رفضتها في البداية ولكن بعد محاولات إقنـاع بحجة أن هذا حقها رضيـت بذلك وفور ذهابها إلى بيتها نظرت إليهـا والدتها تهنئها علي ما فعلت من حفـاظ علي قيمها التي وعدتها وذكرتها بنصائحها , اصطحبت والدتها برحلة خارج المدينة وفور أن رأت فيلا من مكان بعيد لم تمنع دموعها من التساقط فقد تذكرت انها هـي من كانت هناك ولولا طرد والدها ما غادرت ولكن الحال تبدل الآن فقـد أصبحت ابنتها من طبقة الأثرياء والمشـاهير , لم تعاتب نفسـها على حرمانها من ميراث والدها بل عاتبت نفسـها على تسرعها الزواج ممن خدعها.

ينقضي العمر سـريعا وتذهـب معه الأحلام والأحـزان أيضا ولكن تبقى الذكريات بحسنها وحزنها.

******

بين أروقة هذه الفيلا الشـاهقة وأسـوارها الراسخة يجلس منتحبا على ضياع ما تبقى له من أموال، خسر شركته وباتت مهددة بالإفلاس والآن يفكر في بيع هذه الفيلا من أجل أن يسترجع ما خسره من أموال.

كانت سرقة شركته بمثابة إعلان وفاة لوالده إثر إصابته بأزمة قلبية فلم يفقد أمواله فحسب بل فقد شركته التي دمرت سمعتها وأسوارها.

لــم ينتبه أن العمر ينقضي، فرغم تخطيطه المحكم والنيل من كافة خصومه إلا انه خســر كل شــيء، قيمته الاجتماعية، أســرته، خسر كل ذلك.

******

توجه يحيى إلى بيتها وفور أن رأى والدتها ألقي السلام عليها

- **تفضل بالجلوس يا بني**
- **شكرا يا أمي**

وبعد فترة دامت من الصمت تحدث مرة أخرى

- **أتيت اليوم لأتمم ديني كاملا بالزواج من ابنتكم مريم، وإنني يا والدتي صاحب شركة الإنتاج التي قامت بإنتاج الفيلم الأخير الذي شاركت فيه ابنتكم واطمح أن تكون القصة التي تحدث عنها الفيلم حقيقة لا تقبل الشك بالزواج منها.**

نظرت زينب إليه باســتغراب شــديد كما لو كان تسمع لهذيان تائه وسألته

- **أين والدك؟**
- **رأيت الحياة بلا والدي فكنت أنا والدي، أربي نفسي علي تحمل صعابها ومواجهتها وحل المشكلة والقفز من عائق لأخر حتى أصبحت على ما أنا عليه الآن.**
- **إذا أين والدتك؟**

- **لا أدرى أين هي، ولما تركتني، كنت بلا شجرة، بلا أسرة أو كيان، فأصبحت لنفسي الكيان والشجرة والأسرة.**

صدمــت الوالــدة بإجابتــه الصريحة ولكنهــا أبــدت إعجابها بهذه الصراحة

وعقبت بعدها.

- **إذا أنت بلا أسرة يا بني.**

قاطع حديثهم ابنتها التي جلست بجوار والدتها.

- **ما الذي دفعك لتطلب الزواج مني؟ هل صدقت أنني بالفعل انجذبت إليك؟**
- **نعم أدركت ذلك.**
- **ولكننا كنا في مرحلة التمثيل وكان الفيلم ما هو إلا تسجيل أصوات لرسوم متحركة فلماذا تعتقد بأنني موافقة؟**

احتفظ بصمته لبعض من الوقت وانطلق مغردا

- **أستطيع أن أقرأ أفكارك وأتوقع تصرفاتك وجئت لأنني متيقن من موافقتك ليس لأنني صاحب شركة بل صاحب أخلاقيات حميدة يشار إليه بالبنان.**

تجولــت مريم ببصرها بينه وبين والدتها وطــرق الوجع على قلبها يذكرهــا برحيــل والدها عن أمها وتركهــا وحيدة تواجه أمــواج الحياة وتدافعها، حتما سيكون مصيرها مثل مصير والدتها، ولكنها لن تكون بقوتهــا لتصمد أمام تلك الأمواج العاتية، ســيأتي يوما تتقاذفها أمواج الحياة.

أعلـن قلبهـا العصيان، أرحلـي بإباء قبـل أن تغرقك تلـك الأمواج وتقـذف بكِ إلى بحـار التيه، عندها لن تسـتطيعي أن تلملمي شـتات نفسك الممزقة مرة أخري.

وبعين زائغة وذهن مشتت استأذنت وغادرت إلى غرفتها.

تغيرت معالـم وجهه فقد انطلقت قذائفها لتصيب قلبه وشـعر انه بحاجة لمزيد

من الجهد والعناء لكي يحظى بثقتها وقلبها.

ظل صامتا ينتظر الرد من والدتها وان توقع الرفض منها.

- **انظر يا بني التردد يكون السمة الأولى التي تجعل الفتاة متحيرة بين القبول أو الرفض، لذلك أمهلنا بعض الوقت ليصلك الجواب الصحيح.**
- **حاضر يا أمي سأنتظر ردكما.**

قالها وشـعرت هي بمدى الألم التي لامس قلبها فقد تذكرت رحيلها عن أسرتها وحرمانها من نطق كلمة أمي وأبي.

حاول إخفاء معالم توتره وهم بالرحيل والمغادرة.

فجـأة وقفت أمامهم معلنة قبولها التحدي والمغامرة متحدية أمواج الحيـاة وتدافعها أرادت الدخـول في مغامرتها الأولـي متجنبة صراع والدتها وآلامها.

- **قبلت الخطوبة يا أمي.**

لم تتوقع والدتها سرعة ردها وشعرت أن ابنتها متناقضة مع نفسها

وخافت أن تكرر ابنتها نفس تجربتها الفاشلة حاولت بنظراتها إيصال رسالتها ولكنها لم تلق أي قبول عند ابنتها.

نظر يحيى إليها وكأن شـعاع الأمر لاح في الأفق من جديد، توقع أن ينال السـعادة بقبولها في بادئ الأمر، ولكنها فاجأتها باستئذانها، أراد أن يقنع لنفسـه انه في كابوس سيسـتيقظ منه ولكنـه الآن تحول هذا الكابوس إلى بشـرة وسعادة، تسـابقت الدمعات من عينيه ونظر إليها وإلى والدتها.

- **اليوم رأيت أسرتي التي سأفتخر أن أنتمي لهم.**

شعرت بالسعادة من اجل ابنتها وكتمت في نفسها خوفها من تكرار تجربتها السابقة الأليمة.

مر أسـبوع علـى اتفاقهم وكانـت خطبتهم وقراءة الفاتحة وسـط حضور محدود من أصحابهم.

نظـر إليها يبوح لها بحبه الذي أحتفظ به طيلة معرفته بها، نظرت إليه تبادله أحاسيسها ومشاعرها الغالية، أرادت أن تكون ملكة متوجة وهو أراد لها ذلك.

فور ان رحل أصحابهم كانـت الكعكة الكبيرة التي تحمل صورتها وأضواء خافتة تلوح في أركان الغرفة بمثابة مفاجئة سارة لها لم تكن تتوقعهـا ولكن والدتها كانت على علم بتجهيزاته التي أعدها قبل قراءة الفاتحة.

تحول حلمه وأمنياته من السراب والعدم إلى الحقيقة.

وقف أمامه وملامح التوتر والفضول تؤرقه ليعرف سر قبولها له:

– **لماذا وافقت بعد ترددك رغم أنكِ تعلمين من أكون؟**

أرادت أن تتجاهل سـؤاله ولكن قلبها لـم يلبِ رغبتها فقد أرادت أن تكون صريحة معه كما تعودت دائما

– **رغم أنني غير مقتنعة بأنك شخص عصامي وهذا الكلام الذي تحاول خِداعتي به، ورغم أنني واثقة أيضا من أنك بلا أهل ورغم كل ذلك إلا أنني وافقت ليس بالطبع صراحة حبا فيك فقط.**

وقـف مذهولا مـن كلامها فلم يتوقـع حديثها وتركهـا لتكمل دون تعقيـب فلم يملك المقدرة على منعها فربمـا أراد الآن أن يتمني الموت قبل أن تكمل غرس سهامها.

– **انظر يا يحيي أعلم أن أموالك بها شبهة ولم تحصل عليها بتعبك واجتهادك وأنوي أن يكون لي نصيب من توجيه هذه الأموال إلى العمل الخيري فقد وجدت فيك الشهامة والنُبل لفعل ذلك.**

أراد أن يسـتوقف حديثها وينصرف ويفسخ خطبتها ولكن حسنها طغي على كل ذلك فلم يجد نفسه إلا طوعا لها.

– **الأمر الأخر لا يهمني من تكون وماذا فعلت وكيف أصبحت مشهور ولكن يهمني أن تحافظ على أخلاقياتك والمكانة التي وصلت إليها وأن تحافظ على قلبي فانه بالطبع يهواك ولا يعشق الأن سواك.**

أقنع نفسـه بصـدق كلامها التي نطقـت به فهـي إذا تبادله الغرام وتملك الجرأة والشجاعة في أن تكون صريحة.

نظـرإ متأملا ملامحهـا التي قيدته منذ أول يـوم نظر إليها وأقترب منها أكثر وأسند يديه على السور المجاور لهما.

– **أتعلمين أنني أحببتك أكثر لصراحتك الشديدة ولك ما تريدين.**

أذا لا تعشق سواي ولا تبغي من حياتك إلا أن تكون بجواري ما حييت.

لم يـدرك وقتها كما هي بارعـة انتقاء كلماتهـا ووضعها بصفوف متراصـة لتعزف أجمـل الألحان والسـيمفونيات التي تنقلـه من عالم الحقيقة إلى عالم الجمال والخيال.

******

سـمعت طرقات خلف الباب فقامت والدتها لتفتح للطارق، فوجدت خلـف الباب أخاهـا معتز فتعجبت مـن مجيئه بعد غيابـه عنها لفترة طويلـة، أرادات أن تقدم خطيب ابنتها له، لـم يعطي اهتمام في بادئ الأمر ولكن فور أعلمته انه صاحب شركة إنتاج سينمائي أعطى له مزيد من الاهتمام.

حالـة من القلق والفزع انتابت يحيي كتمها في نفسـه، تذكر اللقاء الأول الذي جمعه بوالده في حضرة أخيها معتز بعد خروجه من الملجأ يطلب وظيفة ولكن سرعان ما تحول الطلب إلى طي النسيان.

تذكـر تجاهله لـه فذهب يتجول بيـن الأماكن حتى كانـت نيته في الثراء عنوة عن الجميع بل والسعي إلى تدميرهم أن سنحت له الفرصة.

دقق معتز أخوها النظر إليه ويبدو أنه ربما لمحه في مكان ما.

– **هل رأيتك من قبل؟**

– **لا أظن ذلك، ربما رأيت شبيه لي.**

حدس معتز لا يكذبه أبدا ولكنه تجاهل حدســه من أجل أن يعرض عليــه أن يســاعده لاحقا ولابــد أن يمهد لهذا الأمر فبــدأ يبادله الحديث عن أعماله وأرباح شــركتهم وكيف وصلت إلى مجدها وهذه المشاريع العملاقة تحتاج رؤوس أموال لكي تحظي بمزيد من أرباحها.

فهم يحيى ما يريد أن يشير إليه ولكنه تجاهل كل أشارته وتلميحاته وأســتأذن بالانصراف من هذه الجلسة التي أراد معتز عدم إنهائها.

بعد رحيله نظر معتز إلى زينب

- **أحسنت الاختيار يا زينب لأبنتك فانه يتضح عليه الجدية والنجاح والصرامة في العمل، كنت أتمنى أن يعمل معي شخصية تحمل كل هذه المعاني والطموحات.**

فهمــت مريم نيــة خالها من الحديــث عن خطيبهــا وبطبعها تحب الصراحة.

- **لا أعتقد يا خالي انه يحب تغيير مجاله الذي برع فيه وخصوصا وقد أصبحت شركاته أول شركة رائدة في مجال الرسومات المتحركة.**

كتم غيظه من حديثه وأراد أن يصفعها لولا جلوسه بينهم.

- **أتمنى له النجاح يا مريم وان يبعد عنه الحسد والحوادث والمصائب وألا ينال نفس نصيبي من الشقاء والعناء.**
- **أطمئن يا خالي فقد ناله الشقاء قبل أن يصبح رجل أعمال ناجح ولم يحظى بمثل ما حظي به آخرون من ميراث وتركة لم يستطيعوا الحفاظ عليها.**

جن جنون خالها وأســتأذن بالرحيل وغضب أكثر عندما وجد أخته

توافق على حديثها.

******

في اليوم التالي ذهب إلى شركة الهادف التي يملكها يحيي وأستأذن السكرتارية بمقابلته وسمحت له بذلك.

رحبا به يحيى وأشار له بالجلوس.

- **أسمع يا بني جئت اليوم أعرض عليك مشروعا لن تستطيع رفضه سيجني عليك دخلا لا تتوقعه وهذه دراسة جدوى للمشروع.**
- **إن كان هذا المشروع ناجحا كما تتخيل فلماذا لا تنفذه وتجني أنت أرباحه.**
- **لا أمتلك السيولة لفعل ذلك يا بني.**
- **هل تبيع شركتك وما تملكه من أموال لي في مقابل أن أوفر لك هذه السيولة.**

فاجئــه بســؤال وتردد في إجابتــه ولكنه أبــدي موافقته على طرح يحيي.

- **كم تريد ثمنا لهما؟**

أراد رفع قيمة المبلغ المالي مستغلا عرض يحيى

- **خمسة ملايين جنيه.**
- **شركة خاسرة وفيلا متهالكة تكون ثمنها خمسة ملايين جنيه؟**
- **بل أغلي من ذلك بالإضافة أنها ليست متهالكة كم تظن، هل رأيتها؟**

أراد أن يكتم حديثها ويغير دفة الحديث ولكنه لا مفر من الإجابة.

– **أنني توقعت أن تبدو كذلك وعموما لن نختلف على الثمن كثيرا أستشير المحامي الخاص بي وأيضا أعاين موقعهما.**

أدرك معتز أنه أمام شــخصية لن يســتطيع خدعها بسهولة وخرج متعصبا علي يحيي

أتظننــي أننــي أتيت مــن اجل أموالــك، أردت أن يــزداد نجاحك فأنت مستقبلا ستصبح جزء من عائلتنا.

حضر أمن الشــركة مــن أجل إخراجه خارج الشــركة ولكن قبل أن يصطحبا معتز للخارج تحدث إليه يحيى.

– **لاحقا لا تحاول خلط الأوراق فالحياة الأسرية والجو العائلي وخلافه أتحاشي الحديث فيه بعملي، مع السلامة يا أستاذ معتز.**

أوصــى الأمن بالتعامل معه ورميه بشــيء من الصرامة كي لا ينوي الاقتراب لاحقا من أســوار هذه الشــركة أو مجرد التفكير بالحديث عن الأمر.

******

الفصل الخامس

الصراع

فــي ذاك الصراع الأزلي بين الحق والباطــل! ينتصر الحق في النهاية ولكن ماذا لو كان الصراع بين الباطل والباطل فمن منهم ســينتصر؟! ولنفرض تشابههم في نيل الصفة واختلافهم في صفات أخرى.

أطلقت لقلمي العنان وجلست أتجول في أنحاء نفسي لعلي أدرك موهبتي التي لم اكتشفها بعد, فبحثت ولكنني لم أجد شيئا أتميز به سوى نقدي للآخرين فقررت القراءة والتعمق لعلي بقراءة أفكار غيري ينحني قلمي طوعا لفكري. ففشلت أيضا في ذلك ولكنني لم أيأس من المحاولة مرة تلو الأخرى وبدأ قلمي يتسارع بين الكلمات والتعبيرات يعزف منفردا وسطرت قصة ظننت أنها اكتملت ولكن عجز قلمي عن التكملة فظننت أنني عجزت عن التعبير بما يخفيه ذهني ولكنها العيون قد تسابقت بالدموع فور الاقتراب من نهاية هذه القصة الحزينة. مسحت الدموع ومحت ما كتبت حتى تبدلت بالفرح والسرور وبدأت أكتب مرة أخري عن قصة ذاك البطل وهذه البطلة والابتسامات المتداولة ولكنني وجدت أنها قصة غير واقعية فأرجئت الكتابة حينا. وها أنا متوقف حتى يطاوعني قلمي لأكتب قصة جديدة.

هكذا دون خاطرته بتوقيعه يحيى المصري.

******

لك أن تتخيل شخصا تحايل على الجميع من أجل سرقة أموالهم بطريقته الماكرة فهناك أشخاص أخرى تسرق عنوة وبالقوة وهناك من يسرقك وأنت راضٍ بذلك وتدفع له الإكرامية، ذلك المسمى الذي يحمل في اسمه الصحيح الرشوة وهناك أشخاص تسرق من هو أعمق وأقوى من ذلك، تسرق تفكيرك وعقلك لكي تصدقهم بل وتساعد من حولك أن يصدقوا صناعة أكاذيبهم وزيف إدعائهم.

تتجــول في هذه الحياة للتصــادم بكل هذه الشــخصيات ولكن أن تصطدم بشخص يجيد كل هذه الصفات ويجمعها معا فيقنعك أنه من المشاهير ويبث إليك سمومه برسالة جميلة تصدقها بالطبع ولا يكتفي بذلك بل يدفعك لكي تذهب لتشــاهده بالسينما وتدفع أموالك له مقابل تصديق أكاذيبه التي يســوقها إليك ويجلس مسرورا بكم النجاح الذي ساعدته أنت فيه أيه المسكين دون أن تدري.

صراعات مســتمرة بين هذه الحياة ومعظمها بين باطل وباطل أشد اختفي بينهم الحق فلا يظهر إلا نبتة صغيرة تحتاج من يرعاها ويحافظ عليها ويســعي جاهدا لنموها يوما بعد أخــر ليختفي كل الخبائث التي تحيطها وتمكر من أجل وقف نموها والنيل منها.

******

ذهب معتز إلى أخته من أجل أن تتوسط عند خطيب ابنتها ويسامحه عما أقترف في حقه وان يســاعده في قيام شــركته وبــث إليها الدلائل والحقائق التي تجعله يسعى من أجل مساندته.

لم تقتنع زينب بزيف إدعاءه فقد اعتادت سماع الكذب من قبل ممن هو أقرب إلى قلبهــا منه، ولاحظ من خلال تغيير طِباعها أنها أصبحت تكنّ له العداء لما تســببه في العناء الذي باتت فيه الآن بســببه ولكنها أيضا لم تنس نفسها فهي من تمنت الهروب من هذا الجحيم إلى الجنة كما كانت تعتقد.

تــودد إليهــا معتذرا عما بدا منــه وعزم على أن يعتــذر لها ربما أنه أخطأ التعبير والحديث وطلب منهما الصفح وعلل بأنه بعد أن سُــرقت

أمواله أصبحت شــركته تتجه إلى الخسارة المتزايدة ويحاول الآن بيع فيلته لتعويض هذه الخسائر.

انفرد يحيى به بعد أن قدم له اعتذاره وعرض عليه انتشاله مما هو فيــه ليس من أجل المزيد من المكاســب بل من أجل أنــه يريد النجاح لخال من سيرتبط بها.

وســيعطيه ما يريد ولكــن في المقابل ســتكون مدونــة بإيصالات أمانة وشــرطه أن لم يتم تحصيلها في المواعيد المحددة ستكون فيلته وشركته من نصيبه.

رفــض طلب يحيى في بــادئ الأمر، ولكن المبلــغ المعروض أغراه بالقبول، مليون جنيه ليس مبلغًا قليلا ليرفضه والدفع ســيكون خلال سنة على خمســة دفعات ولكن إذا عجز في رد المبلغ فوقتها سيخسر كل شيء.

ولكنه أراد أن يخوض ثمار التحدي فمثله لا يخسر التحدي بسهولة وإن خســره فجميــع البدائل معروضــة حتى لو انتهت بمــا لا يتوقعه خصمه.

التقوا في اليوم التالي بمقر شركة يحيى بعد أن أمر رجاله بالسماح له بالدخول دون اعتراض ومضي معتز في حضور محامي يحيى على جميع الإيصالات والشروط وأستلم الشيك الخاص بالمبلغ.

نظر إلى يحيى ناطقا بكل كلمات الشــكر والمدح ولكن ما يكنه في نفسه يضاد كل ما تفوه به فهو لا يريد ليحيى إلا الجحيم والعذاب.

******

اختلى يحيى ليلا بغرفته ليدون بمذكرات اعتاد كتابتها لعله يخرج بفكرة تصلح لفيلمه القادم أو يطرد ما يراوده من حزن وألم فالسعادة تقريبا منعدمة في مذكراته.

"كنت بالأمس لاجئ ينبذني المجتمع وعندما سرقته وأصبحت ذا شأن أصبح ذلك المجتمع هو من يلجأ إليّ ويكن لي احترامي ويرد لي اعتباري بل ويتسابق من أجل نيل الرضا.

إنه عالم القوة والمال، القوي يبتلع الضعيف وينبذ أمثالي خريجي الملاجئ ولكن بأموالك وحدك تصنع احترامك وتبني لك نفوذا وقلاعا يخدمها العبيد ويفنوا حياتهم من أجل خدمتك ولعلهم يقربون أولادهم قربان لتعفوا عن زلاتهم.

تذكر أنه عزم على نسيان من يكون ولكنه شعر بأهمية أن يعرف من أهله ليس لكي يفتخر بهم ولا ليفتخروا به ولكن من أجل معرفة الأسباب التي جعلت منه لاجئا، ربما أراد أن يعاتبهم وينال منهم لأنهم تناسوا البحث عن فلذة كبدهم وربما أراد أن يشكرهم على حسن صنيعهم بجعله يرسم الطريق لنفسه حتى وإن بدأ باعوجاج ولكنه الآن أصبح من الأثرياء والمشاهير.

كل هذه الأفكار راودته، تارة تظهر في أحلامه وأخرى عندما ينظر إلى أسرة تحتضن طفلها وأب يحمل ابنته.

ربما وجد الآن البديل لأبويها بأسرته الجديدة خطيبته مريم ووالدتها زينب.

**

في اليوم التالي أراد أن يقوم بزيارة خطيبته كالمعتاد وقبل أن يطرق الباب سمع صراخ خارج من بيت خطيبته فأطرق الباب بطرقات متسارعة ففتحت مريم له ليصطدم بمعتز أمامه.

أشار إلى معتز بيده الذي لزم الصمت فور رؤيته ليحيى محذرا إياه.

- **لو تكرر هذا الأمر منك مرة أخرى فإيصالات الأمانة ستكون عند الشرطة تتصرف فيها كيفما شاءت، وليكن هذا تحذير ووعيد.**
- **ألا تدري من تكون إنها والدتي التي عوضتني عن أسرتي التي لم أعرف من تكون وأين هي.**
- غادر أخيها معتز بغضبه وتمتم بكلمات ونظر إلى يحيى ونظر إليها
- **سأبيع الفيلا سواء رضيتِ أو لم ترضي.**
- لم ينس أن يوجه سهام غضبه إلى يحيي قبل مغادرته.
- **وأنت، غدا ستعرف من أكون.**
- لم يعط لكلامه أي انتباه، وتوجه بنظره إلى زينب
- **اطمئن يا والدتي، الفيلا لن يستطيع بيعها.**
- **وهل تعتقد أن سبب مشكلتي مع أخي هي الأموال أو حتى بيع الفيلا.**
- **إذا وما هي سبب المشكلة؟**
- **أنت**

قالتها وكأنها أصبته إصابة بالغة لن يستطع التعافي منها ولكن تحامل على نفسه ووقف أمامها.

– **ولماذا أنا السبب؟**

– **لأنك أجبرته على مواعيد لدفع النقود وساعدته في أن يفشل ويصرفها ويضيعها كما أضاع ما سبقها.**

– **وهل أُعاقب بأنني ساعدته لعبور أزمته التي حكاها لي في مكتبي.**

لزمت الصمت لدقيقة كما لو كانت تستعد لتغيير مجريات الحديث تماما وتضع حدا لحيرتها ولكل تساؤلاتها التي احتفظت بها.

– **من أين حصلت على هذه الأموال يا يحيي قبل أن تخطب ابنتي؟**

صمت برهة ليفكر في المأزق الذي وقع فيه وسرح بخياله ليخترع قصة يتفادى فيها ماضيه وأحزانه وبدأ يحكي لها:

– **بدأت في البحث عن عمل حتى عملت بمصنع صغير لصناعة الكرتون وبدأت التعلم حتى أصبحت فني كرتون مهم جدا وكنت أبيت الليالي من أجل إنجاز العمل ولم يكن لصاحب المصنع أولاد وتوفت زوجته.**

نظرات مريم رمقته بين الحين والآخر وكأنه تعرف كذب إدعاءه ولكنه تجاهل النظرات لعله ينجح في حبكة القصة أو الكذبة.

– **كنت أعمل نهارا وأخدمه ليلا بلا مقابل، كنت أرعاه حتى توفي ولكنه أراد منحي مكافأة كبيرة فقد تنازل بنصف ما يمتلكه لي والنصف الآخر لباقي أسرته وأعلن ذلك قبل وفاته ورفضت الأمر ولكن أخوته أرادوا تنفيذ وصيته وعرضوا على بعد وفاته شراء نصيبي من هذه الورشة ووافقت بالطبع.**

أوشكت مريم على الرحيل لعدم تحملها كل هذا الكم من الزيف لولا

إشارة من والدتها بالجلوس والاستماع للقصة كاملة، تردد كثيرا في المتابعة وهل يستمر في كذبه أم يصارحهم بالحقيقة ولكنه لجأ إلى ضبط معالم وجهه وإيقاع كلماته من أجل أن تصيب قلوبهم وعزم هذه المرة على التحدث بصدق.

– **بعدها لجأت إلى صديق بسوق الأوراق المالية وعرض علي المشاركة في التجارة بالأوراق المالية فأعجبتني الفكرة وجنيت من الأموال الكثير ولكنني توقفت وأخذت نصيبي من الشركة بعد أن نصحني أحد المشايخ الذي أثق في أرائهم بالابتعاد عن هذه التجارة لحرمتها، شككت في فتواه ولكنني أردت أن أقوم بعمل آخر منفرد بعيدا عن هذه الصناعة، فجمعت كل أموالي وشاركت شركة إنتاج في فيلمي « اللاجئ المليونير» وأنشئت شركة الهادف للإنتاج والتوزيع.**

شعرت زينب من كلامه أنه يصطنع الكذب بل ويتفاخر بذلك وليس ما قاله هو الحقيقة وأنه يتوارى خلف أسرار يخفيها عنهم.

كتمت غضبها ونظرت إلى ابنتها التي فاجأتها بنزع دبلة الخطوبة من يدها لتعطيه إياه.

حاول منعها من ذلك ولكنها ذهبت لتخلو بغرفتها، أرادت لحظة أن تخلو بضميرها ولا تركن لنفس تجربة والدتها القاسية.

تركته وغادرت المكان ولا يدري ماذا يفعل الآن لاسترداد من أحب.

هل كتب عليه أن يكون لاجئا وتعيسا معاً رغم ما يمتلكه الآن من أموال.

******

نزل يحيي من سيارته الفارهة ليرتجل إلى شركته، توقفت بالجوار سـيارة ظنَ أنها لأحد زوار الشـركة ظهر من نوافذها رجلين وفور أن لمحهم شـعر بريبة من أمرهم فسـارع خطاه ولكنهم أطلقوا وابل من الرصـاص أصابت أحداها إيـاه فوقع على الأرض ورحلـوا عن المكان سريعا وتركوه غارقا في دمائه.

حاول الأمن الخاص بالشـركة تعقبهم ولكنهم فشـلوا في ذلك ولم يستطيعوا الوصول إليهم ولا التعرف إلى ملامحهم.

حـاول المارة إسـعافه ترقبا لوصول سـيارة الإسـعاف وما هي إلا دقائق وانتشـلته من مكانه إلى المستشـفى وفور دخوله سارع طاقم الإسعاف بنقله على تلك الحاملات إلى غرفة الطوارئ مسرعي الخطي.

دخـل غرفة الطـوارئ ونزعوا عنـه المحتويات التـي بحوزته حتى يستطيعوا محاولة إسعافه، حضر الشرطي فور استدعاء من المستشفى للتحقيـق بالحـادث فصادر الهاتـف واتصل بآخر رقم فقـد كان رقم خطيبته وشرح لها الأمر فسارعت إلى المشفى بحضور والدتها.

قطعت مريم رواق المستشـفى ذهابا وإيابـا مترقبة نجاة خطيبها وكانت والدتها جالسة بالجوار ترفع يديها بالدعاء لشفائه.

حضر الضابط واصطحب مريم إلى غرفة بالمشـفى من أجل بعض الاستجوابات الروتينية.

أخذ يطرح السـؤال تلو الآخر وهي تعقب بما تعرفه وفكرها وعقلها مـع من هو نزيل هذه الغرفة التي بالجوار تمنى نفسـها بالتحدث إليه حتى لو بكلمات قليلة تبادله الأحاسيس والمشاعر.

حديثها مع المحقق ولكن قلبها وعقلها مع يحيى، لا تريد فراقه بعد اليوم، ندمت على سرعة ردة فعلها في فسخ خطبتها.

انتظروا كثيرا بالخارج ليخرج من يطمئنهم على حالته أو يبث لهم شعاع الأمل في نجاته حتى لو لدقائق معدودة يتحدثوا خلالها إليه.

تأخر الوقـت كثير وطال الانتظار حتى لمحو طبيب خارج من هذه الغرفة فسارعوا إليه ليطمئنهم على حالته.

أبلغهـم الدكتور أن حالته لا تزال حرجة تحتاج لدعائكم وتضرعكم فالرصاصتيـن في موضعين في غايـة الخطورة ولكن الأمل في نجاته كاحتماليـة فرضية موجود، أعطاهـم الأمل في نجاته ولكن لم ينس أن يقلقهم قبل رحيله بأخبارهم حتى الآن الحالة حرجة جدا.

مرت سـاعتين والأنظار والقلب والعقول تترقب الجديد من الأخبار حتـى خرج الطبيب فرحا وطمأنهم علـى أن العملية تمت بنجاح ولكن لن يسـتطيعوا رؤيته الآن ويحتاج وقت للراحة وفي هذه الأثناء حضرا الضابط مرة أخري.

- **متى يمكننا استجوابه أيها الطبيب؟**
- **ليس اليوم أيها الضابط فإنه يحتاج لمزيد من الراحة ويمكنك استجوابه غدا إن شاء الله.**

نظر الضابط إليهم وأبلغهم بضرورة إعلامه بكافة المسـتجدات إذا طرأ أمر جديد وأمر عسكري بحراسة غرفة يحيي حتى لا يتجنب تعقب القاتل ليحيى مرة أخرى.

حضـر في هذه الأثنـاء معتز فتجنبـت زينب ومريـم الحديث معه

وركنوا للجلوس بعيدا عنهم، اقترب منهم أكثر.

– **اسمعي يا زينب، أنني لا أكنّ ليحيى أي عداء وما حرصت على بيع الفيلا إلا لدفع أمواله التي أقرضني إياه، رغم أنني أستطيع بيعها بدونك وتعلمين ذلك لأن والدك حرمك من هذا الإرث ورغم ذلك لم أستغل هذه السلطة.**

نظـرت إليـه زينب ولم تعقب علـى حديثه ولكن مريـم نظرت إليه وعقبت

– **ادع له يا خالي بالشفاء.**

قامت زينب من مكانها وقبل أن ترحل وجهت إليها سؤالها.

– **من أعلمك بإصابة يحيى؟**

– **ذهبت لأعتذر منه عن التأخير بسداد ما أقرضني إياه وأبلغتني السكرتارية بإصابته فعرفت منها مكان المستشفى واتيت إلى هنا، لا تنسي أنه هو من ساندني في الضيقة المالية التي مررت به فكيف أتجاهل موقفه هذا.**

******

وقـف معتز أمـام رجاله متفاخرا بالإنجاز الذي تـم تحقيقه والنيل من خصمه اللدود، مادح حسـن تصرفه وتخطيطه وأوصى الحسابات بالشـركة بمضاعفة مكافأتهم، جلس على مكتبه يسترجع كل المواقف الذي جمعته به وأصبحت الآن ذكرى.

أراد يوما أن يصبح ممثلا ولكنه فضل أن يبتعد عن هذه المهنة بعد

أن أتيحت له بفضل نفوذ والده وأمواله متعللا انه أكبر من هذه المهنة فمثله لا يصلح إلا وزير وربما رئيس.

يملـك الحنكة في الخلاص من خصومه ولكنه لا يملك نفس الحنكة في زيادة أرباح شركته.

ذكرته السـكرتارية بموعده مع رجـل الأعمال فاروق من أجل إنهاء صفقته التي ينتظرها منذ زمن بعيد ومن الممكن أن تنقله في مصاف رجـال الأعمال مـرة أخرى بعد عـزوف أغلبهم عن العمل معه بسـبب رحيل والده ورحلت معه أعمالهم.

جلس على مكتبه مرة أخرى فربما أردا أن يكنّ لمن حوله بالأسـرار الكثيرة جدا التـي يحتفظ بها فربما لو جلس معه يحيى برفقة مخرج لنفذوا كل هذه الأسـرار بعمل سـينمائي متكامل وشـكره على فكرته ولكن يحيى الآن في طريقه ال الرحيل للأبد.

******

وقف معتز بجوار مريم وأخته زينب منتظرين الاطمئنان علي يحيى والسماح لهم بالدخول وبالفعل ما هي إلا دقائق حتى أذن لهم الطبيب بذلك.

جلسوا بالجوار منتظرين يقظته مما هو فيه يتبادلون معه حديثهم.

مرت دقائق وبدأ يسـترد وعيه فطـاف بنظره أركان الغرفة متعجبا مـن المكان الذي أُحتجز فيه ولكنه لم يكتم سـعادته عندما رأى مريم ووالدتها وخالها معتز فربما تصافوا فيما بينهم.

نظر إليه معتز متحدثا ومخففا عن آلامه.

– **حمد لله على سلامتك يا يحيى، كيف حالك الآن؟**

حاول يحيى الاعتدال ليجلس مسترجعا ما مضى ولكنه قرر نسيانه فلا حاجة للعتاب الآن.

– **شكرا يا عمي، الحمد لله أنني بخير فقط آلام بسيطة في كتفي.**

نظرت إليه زينب ومريم بأعينهم كما لو كانوا يطلبون وده ومسامحتهم عما فعلوه به فقد شعروا بالتعاطف مع حالته الآن وتحدثت إليه زينب.

– **حمد لله على سلامتك.**

– **شكرا عمتي على سؤالك واهتمامك بي.**

– **والدتك وليست عمتك، هل نسيت؟**

كانت لهذه الكلمة والسؤال رونقا خاص عند يحيى فزادته سعادته وأنسته الجراح والألم كما لو تمنى بتعجيل الحادث أسرع من ذلك حتى تطرق هذه الكلمة أذنيه مرة أخرى.

قاطع شروده معتز.

– **هل لك عداوة مع أحد يا يحيى؟ فربما من فعل ذلك أنت تعرفه تماما؟**

– **ليس لي أي عداوة مع أحد يا عمي.**

تسارعت الذكريات عابرة أمامه عندما قتل ذلك الشرطي، وحالت أمامه الشكوك فلقد قتله ولا يظن انه استفاق بعد ذلك وقد مر على

قتله سنوات عديدة واسترجع أيضا سرقتها للشركة التي بأموالها امتلك شركة كبيرة الآن ولكنه تناسى صراعه مع عمه معتز الذي جلس بجواره الآن في أصعب الظروف ربما لمح فيه وقارا واحتراما لم يبادله إياه من قبل.

قاطع صمته وشروده كلمات مريم.

– **كيف حالك خطيبي العزيز؟**

كلمة لم يصدق سماعها الآن فقد كان يتمنى أن تكون أول من تطمئن عليه، وفور تأخره في السؤال، أدرك أنها ربما حضرت من أجل الاطمئنان فحسب.

– **الحمد لله بخير، خطيبتي الموقرة مؤقتا فزفافنا إن شاء الله قريبا.**

أراد معتز أن يشاركهم فرحتهم فنظر إلى كليهما.

– **تتعافى أولا يا يحيى وبعدها تتزوج وترى مستقبلك الباهر.**

نظرت زينب إليهما ناصحة يحيى الذي أصبح الآن ولدها.

– **اسمع يا بني لابد أن تتوخى الحذر فربما من اقترف جرم اليوم يتعقبك للنيل منك فعليك الحرص وتعيين من يحرسك فحياتك الآن أصبحت غالية ولا تخفي أسرارك عنا حتى نستطيع مساعدتك.**

– **لا عليك يا أمي فإن الأجل مكتوب ولكن حرصا على نصيحتك سأتصل بالمكتب من أجل تعيين حراسة مناوبة حتى لا يمسكم ويمسني الضرر فربما من فعل ذلك يقصدكم لاحقا.**

قاطع حديثهم ضابط الشرطة وجلس بجوار يحيى يستأذنه في تدوين أقواله.

- **ما هو اسمك بالكامل وعمرك؟**

- **اسمي يحيى المصري وعمري ثمانية وعشرون سنة**

- **هل تتذكر اللحظات التي سبقت الحادثة؟**

- **توقفت سيارتي فنزلت منها لأذهب إلى الشركة فوجدت رجلين يظهران من خلف نوافذ السيارة المجاورة التي وقفت بمحاذاة سيارتي وانطلقت مسرعة لأني تشككت بأمرها فسارعوا بطلقاتهم ولم أشعر بعدها بجسدي وهو يتهاوى.**

- **هل لك أن تصفهم لنا؟**

لم أستطع ملاحظتهم جيدا ولكنهم رجلان مفتولا العضلات والبنيان، شعرهم كثيف.

- **من تعتقد له المصلحة وراء محاولة اغتيالك؟**

- **ليست لي عداوة مع أحد.**

- **هناك من أتهم فاروق الممثل الذي طردته في فيلمك الأخير بفعل ذلك.**

- **لا أعتقد ذلك، إنه شاب طموح ولا يمتلك المال كي يدبر لموتي وقد تصافينا وتمت إذابة ما بيننا من خلافات.**

غادر الشــرطي متوجها بالشــكر ليحيى ونصحه إذا ما اســتجد أي طارئ يبلغه فورا.

******

بعــد معاناة مــن التفتيش ســمح له الحــارس الخــاص بيحيى له

بالدخول وفور أن انتبه يحيى لوجوده تبدلت معالم وجهه الحزينة إلى الفرح والسرور.

- **اشتقت إليك يا عماد، كيف عرفت بوجودي.**

- **إنني أتتبع أخبارك بصفة أسبوعية من خلال الجرائد التي تحدثت عن أحدث أعمالك السينمائية وفور أن قرأت خبر محاولة اغتيالك بحثت عن اسم شركتك واتصلت بالهاتف حتى عرفت منهم مكان وجودك يا صديقي.**

- **شكرا لك يا عماد على حسن صنيعك، أتدري كم أنا سعيد اليوم بوجودك بجواري.**

قاطــع حديثهم وجود معتز وفور أن نظر عماد إليه شــعر بهاجس ينتابــه وقلــق كما لــو كان رأي معتز من قبل ولكنه حــاول أن يتذكره ويتفقد ملامحه ولم يبادله معتز نفس شــعوره فقد جلس واثقا وســلم على كليهما وجلس بالقرب من يحيى، ولم ينس يحيى أن يُقدم صديقه لعمه معتز.

لم ينس عماد قبل أن يرحل أن يسأل يحيى.

- **من فعل ذلك بك؟**

- **قريبا سأعرف من هو وحينها سأنال منه قبل أن يتوقع هو ذلك، لن يستطع الفرار وإن كان يتمناه ولن أمنحه الموت وان كانت أمنيته للخلاص من عذابي الذي سيلازمه طيلة حياته بفقدانه كل ما يستطع الاعتماد عليه بالحياة سأبدأ بقطع لسانه ثم قدميه حتى يزحف راجيا مني كتب نهايته.**

ســرح معتز بخياله حول ماهية الشــخص الذي يتحدث عنه يحيى

وأراد مجاراته بالحديث

– **لابد أن ينال عقاب أقسى من ذلك فلم يدرك أنه يريد أن يحرمنا من بطل عصامي.**

بادله يحيى كلمات الشكر والثناء.

******

تعافى يحيى من أصابته وتحدثت إليه مريم وأرادت أن يكون العقد بأسرع ما يمكن حتى تستطع التحدث والاستفاضة ولكنه فاجئها بطلبه التأجيل فحاولت المغادرة وعدم المكوث بالجوار لولا وجود والدتها التي قاطعت حديثهم.

– **لك هذا يا بني.**

– **ولماذا التأجيل يا يحيى؟**

قالتها معلنة حدتها وغضبها، سرحت بخيالها فقد كانت تود أن تعقد حتى تعطي العنان لكلماتها الرنانة ليتشبع هو منها فما منعها إلا تربيتها التي حتمت عليها عدم الخوض في بعض أحاديث العشق والهيام إلا بعد العقد فقد أدركت أنها لن تستطع الصمت بعد الآن.

لاحظت زينب تردد يحيى وكذلك غضب ابنتها فحاولت تهدئتها ومساندة يحيى في طلبه ولكن يحيى فاجأهم مرة أخرى بقبوله أن يكون فرحهم الأسبوع القادم.

******

أخذ يتجول في مكتبه ذهابا وإيابا كمن ينتظر أمرا ما، ينتظر مفتاح لفتح أبواب السعادة، حل لكل لغز وُضع أمامه، نجاة لكل مصيبة أوقع نفسه بها، ينتظر حياته التي أوشكت على المحك.

رن الهاتف فالتقطه على الفور

– **ماذا حدث.**

– **تمت المهمة بنجاح وصاحبك لن تراه مرة أخرى.**

أخيرا لن يكون هناك من يمنعني من النوم الهادئ بعد اليوم ركن إلى كرسيه مستلقيا وضغط على جرس بجواره.

– **سعاد أحضري لي قهوتي المفضلة جدا.**

– **هناك من يريد مقابلتك سيدي، فهل يمكنه الحضور؟**

– **نعم، فأنا سعيداً اليوم.**

دخل يحيى وكان معتز يخلو بذكرياته مع الصورة المعلقة أعلى مكتبه فلاحظ يحيى هذه الصورة فتأملها جيدا ويبدو أن هذه الصورة مرت على ذاكرته من قبل، وفور أن لمح معتز يحيى وقف مرحبا به.

– **سعدت بحضورك يا يحيى.**

– **من صاحب هذه الصورة؟**

– **ابني فقد فقدته منذ سنوات ولم أستطع العثور على أي أثر له، بحثت في كل المستشفيات وأقسام الشرطة ولكن بلا جدوى.**

أخرج يحيى صورة تذكرها فقد احتفظ بها طيلة حياته في الملجأ وقارنها بالصورة التي تعلوه، ذرفت الدمعات من عينيه فقد أدرك الآن

أين يكون والده.

لاحظ معتز دمعات يحيى فأخرج منديلا ومسح دمعات يحيى وأمر له بإحضار عصير ليمون وحــاول التخفيف عنه ولكن يحيى احتضنه بحركة لا إرادية.

– **أنت والدي.**

نظر اليه معتز وكأنه يسترجع ما قاله ليمرره على عقله مرة أخري، فلم يستوعب قلبه بعد هول الصدمة.

– **ماذا قلت**

نظر يحيي بفرح شديد وابتسامة عرفت لوجه معني.

– **انت والدي**

نظــر إليه معتــز مســرورا واحتضنــه وأجلســه على مكتبــه وأمر الســكرتارية بمكافأة خاصة لكل العامليــن، وأخرج معتز مبلغ الدفعة الأولــي من القرض وأعطاها ليحيى ولكنه رفــض المبلغ وأعطى والده إيصاله الأول ولكنه كان قد احتفظ بباقي الإيصالات بمكتبه.

علمــت زينب ومريم بالأمر من خلال اتصــال عمهم ودعوتهم لحفل خاص بهذه المناســبة وتبادلــوا التهاني وخلال الحفل أعلنوا عن موعد زفافهم واقترب معتز من يحيى ليعرض عليه أن نستطع إنهاء الإجراءات لكي تصبح رسميا ابني.

ولكــن فاجأه يحيــى برفض الأمر وأنه يريد أن يكــون كما هو فلقد عُــرف بيحيى المصري وهو يعتز باســمه ولكن لــن يمنعه ذلك من بر والده، كتم معتز حدة غضبه في نفسه.

غادر يحيى مكتب والده وشــعر بدوار وإعياء فحمله على الفور إلى المستشفى.

******

خــرج الطبيب مــن الغرفة وطمأنهــم على حالته وحضــرت زينب ومريــم وخرجوا جميعــا برفقة يحيى إلى بيته وأوصــاه والده بالراحة حتى تكون صحته جيدة عند الزواج.

انفرد يحيى بفراشه واخرج المذكرة التي احتفظ به في غرفته.

"أريد أن أنســى الماضي بأوجاعه وأفتح صفحة جديدة للمســتقبل أبادله أطروحاتي ونجاحي، أدون مســتقبلي بعيــدا عن جراحي، كنت أبحث عن نفســي وأهلي والآن وجدتها ووجدت أبي ولكن الجراح تأبي ألا تغادرنــي، لم أريــد أن أكون قاتلا ولكنه هو مــن هاجمني ولم أريد أن أكــون ســارقا ولكنه هو لم يتقبلني فما ذنبــي لأن أكون مجرما أهو المجتمع أم سوء تربيتي ونشأتي"

تعالت أصوات بخارج البيت فنظر من شرفته فقد حضر الموظفين بشركته

وطاقــم الممثليــن والمصورين من اجل الاطمئنان عليه، شــكر لهم حسن صنيعهم واعتذر عن الحديث معهم لشعوره بالإرهاق واحتياجه للراحة وقبّل الورود منهم جميعا وكان هناك باقة ورد مميزة عن غيرها وجد وريقة صغيرة مذيلة بتوقيع مريهام العسال.

لــم يدرك من تكون مريهام وكيف تعرفه، حاول تذكر الاســم، يبدو

أن هذا الاسم مر عليه ولكنه تناسى هذه الذكريات فور معرفته بمريم، تذكر اللحظة الذي تقدم ليخطبها فوقف والدها غاضبا

– **كيف تتقدم للخطوبة وأنت بلا عمل ولا شقة والأدهى من ذلك بشهادة هي والعدم سواء.**

غـادر متضايقا من حديثه ولملم جراحه ولكنــه لم يتقدم إلا عندما شــعر بأنها وضعت الخيط ليتقدم لخطبتها وهذا الخيط تم قطعه الآن من والدها.

تعرف عليها من خلال مؤسســة كان ينهي بعــض الأوراق وغازلها فقبلــت مغازلتــه وخرجا معا بعد عملهــا ليتكرر اللقــاء ليكون لقاءها بوالدها هو الأخير.

لفتت انتباهها بعد ذلك شهرته الواسعة وإصابته التي ملئت الجرائد فاســتيقظت على هذا الحب الذي جمعهم قديما وأرسلت الورود معلنة عدم نسيانها هذا الحب.

******

عندما خلت زينب بنفسها فتحت أجندتها لتسترجع ذكريات ماضيها تمر أمامها، تذكرت زواجها وكذلك زواج أخيها والمشــاكل التي وقعت بعد ذلك، تذكرت يحيى فلم يكن هذا اسمه فلقد سماه معتز وقتها خالد اســتجابة لرغبة والدته فقد أرادت أن يكون فلذة كبدها قائدا أسطوريا مثل سيدنا خالد بن الوليد.

زادت حدة المشاكل تارة يتوصلون لحل وتارة أخرى يحتد النقاش

ثم الفراق لفترة وبعدها يكون الرجوع.

ثم كان بعدها وفاة والدة خالد وعلي أثرها اختفاء خالد من الوجود.

لم تدر ســر القدر الذي جعــل من ابنتها على مســافة زمنية قريبة لتصبح زوجة لابن أخيها.

الآن ترددت هل تكمل هذا الزواج الذي ربما سيكرر يحيى ما اقترفه والده معها من قبل أم تعترض لتمنع آهات ابنتها.

كل هــذا مر أمامها ولكن فــور أن تذكرت زوجها أجهشــت بالبكاء حتى سمعت مريم صوت أنينها فذهبت إليها

– **ماذا بكِ يا أمي؟**

لا شــيء حبيبتي فقد تذكرت أنني ســأكون وحيدة بفراقك وزواجك من يحيى أقصد خالد

– **ستذهبين معي حبيبتي فقد اشترط على يحيى ذلك ووافق**

– **ولماذا فعلتِ ذلك يا مريم؟**

– **يا أمي لن أتركك وحيدة أبدا**

نظرت زينب إلى صورة معلقة على الحائط كانت لزوجها

تعصبــت مريم من النظر إلى صورة والدها والتقطتها وعزمت على تحطيمها

– **ألا زلت تذكرين هذا المخادع الذي تركنا ولم يسأل عنكِ طيلة هذه السنوات**

- **إنه مهما فعل فهو والدك يا مريم**
- **والدي توفي منذ زمن بالضبط منذ رحيله.**
- **أنسيتِ ما فعل بنا وتركنا لنواجه الحياة وحدنا.**

أتذكـر حبيبتي ولكن عندمـا رأيت خالك معتز ويحيـي أدركت هناك لحظة تأتي على البنت تحتاج والدها بجوارها والابن كذلك.

أيام وسيكون فرحك علي خالد أو يحيى وفي مثل هذا اليوم تفتقدين إلى سند لك ووالدك هو سندك عزيزتي

- **لا يا أمي أنتِ سندي وأنتِ الوالد والوالدة معا، أنتِ حياتي.**

******

الفصل السادس

خطوة شاذة

ربما خطوة ترتقي بك إلـى القمة وربما خطوة أخرى تتعقبها لتدفعك إلى القاع فأي الخطوات تطمح أن تكون، ربما تطمح في خطوة شـاذة تدفعـك إلى القمة بثبـات وتقف عائق أمام الخطـوات الأخرى حتى لا تسمح لها بمصاحبتك إلى القاع.

ربما ترســم لمستقبلك لأن تكون ناجحا بوضع خطوات ثابتة تسير عليهــا ولكن لن تتوقع أن تأخذك أحد هــذه الخطوات بعيدا عما تطمح فتهوى بك إلى القاع حيث لا تريد فتعيد رسم خطواتك من جديد فربما تدركك خطوة شــاذة فتدفعك مع خطوات أخرى لتصبح في القمة بين المشــاهير وتظل هذه الخطوات تتبدل حتى تجعلك حائر في تســميها فتارة تســميها خطوة ما قبل الحقيقة وتارة أخرى خطوة الســعادة أو خطــوة ما بعد الحقيقة وربما تحفظ أســمائهم ولكــن لا تزال الخطوة الأكثر حيرة التي تشــبه ورقة تلتقطها في بنك الحظ فإما ثواب وشراء مدينــة أو عقاب والدفع من أجل التنازل عن ما تملك, يمكن أن تســمي هذه الخطوة بالشاذة أو الخطوة المحظوظة فهي تأتي علي غير هواك لتدفعك دفعا إلى طريق جديد لم تستطع أن تأخذه بعين الاعتبار.

******

وقف يحيى أمام معتز وبدأ والده يعدل رابطة العنق الخاصة بيحيى ويبــث في بدلة ابنــه نوعا فخما من العطر وأحضر لــه حذاء فخم جدا وعلبة بها بعض السجائر الفخمة لكن يحيى نظر إلى السجائر الفخمة

- **يا والدي لقد امتنعت عن التدخين وتعاهدت على عدم العودة، فكيف أرى مدون عليها «التدخين يؤدي إلى الوفاة» وأدخنها إنها أشبه بزجاجة مدون عليها «هذه الزجاجة بها سم قاتل» وأنا أتناوله.**

نظر معتز اليه وهو يبادله يحيي نظرات الاعجاب

- **قرار صائب يا بني، أدعي لي أن أحظى طريقك.**

– **يمكنك ذلك يا والدي باختيارك الخطوة المستقيمة التي تجنبك ويلاتها.**

– **الأمر الآخر يا والدي سنجعل في فرحنا مكانين أحدهما للسيدات والآخر للرجال فهذا شرط مريم وأنا أحترم رغبتها جدا**

تفاجأ معتز بذلك وأدرك أن ابنه يسلك طريقه الصحيح بيده لا بيد غيره.

– **حسنا، ربنا يبارك لك في زواجك يا بني.**

وبالفعل كان العرس عبارة عن مكانين أحدهما للرجال والأخر للسيدات، رحبت زينب بالحضور من السيدات ووقفت تستقبلهم وفي الجانب الآخر معتز برفقة يحيى يستقبل الرجال.

توقفت زينب فقد انتظرته من قبل طويلا ولكنه تركها بجراحها بعد إرسال ورقة طلاقها مع أخيها وأخفت ذلك عن ابنتها، حاولت البحث عن مكانه ولكن بلا جدوى، الآن ظهر سامر ولا تدري لما افتكرهم بعد هذه الغيبة الطويلة غير المبررة.

وقف أمامها متفحصا هيئتها وشرد في ذكرياته ولكنها قاطعت شروده

– **ما الذي أتى بك إلى هنا؟**

– **أتيت لحضور زواج ابنتي**

– **لن أسمح لك بذلك وهي أيضا فإنها تكرهك وستطردك.**

– **نعم ستطردني ولكنني الآن انتزعت وجه الخوف منكم ولن أخاف من سجن أو أهاب ذلك.**

تعجبت من حديثه عن السجن، وجال في خاطرها أهذا هو سبب الابتعاد عنها طيلة الفترة الماضية؟ وإذا كان كذلك فلماذا لم يعلمهم حتى لو من خلال أصحابه فهو يعلم مكانهم، أرادات أن تجد له عذرا لفعلته ولكنها عجزت عن ذلك.

تفاجئوا بمعتز أمامهم الذي هرول مسرعا فور رؤيتهم.

– **ما الذي أتي بك أيها الأحمق إلى هنا؟ .**

– **أتيت أري ابنتي فلذة كبدي التي حُرمت منها.**

– **وهل تذكرتها اليوم يا سامر فربما نسيت هي ملامحك ولكنني لن أحرمك من رؤيتها هذا اليوم ولن أحرمك السلام علي يحيى ولدي الذي عثرت عليه بعد غياب، ولكن عليك أن تتحمل ردة فعلها.**

رحل مع معتز بعيدا عن زينب لتبلغها بحضور والدها.

– **لا تنس حياتك بيدي الآن فبجانب الأوراق هناك جريمة أخرى أنت تعلمها، ستراها ولكن بلا أسرار.**

اتجه إلى غرفة قريبة قاده إليها معتز وجلس لينتظر ابنته بها ذهبت إليها والدتها لتبلغ ابنتها وتحاول إقناعها بضرورة رؤيته فمهما كان فإنه والدها، لم تقتنع بحجج والدتها ولكنها ذهبت طوعا لما تقوله ولتطلق بركانها الكلامي من أجل تحطيم جسده وكيانه.

انتبه لحضورها فعجز عن الحديث والتزم الصمت ولكنها هي لم تلتزم به

– **ماذا تريد مني الآن؟**

– **تركتنا بالسابق دون إخطار ولن نقترف جرما لتبعد عنا ولا ترعانا**

فماذا فعلنا من اجل ذلك، ولا أقبل أن تبارك لي في عرسي، هل لك أن ترحل الآن؟

ذرفت دمعة من عينيه لإحساسه بأنه منبوذ وغير مرغوب فيه.

- **أراك تجيد التمثيل والإدعاء فأاحتفظ بدموعك فربما ستحتاج إليها لاحقا في يوم لا ينفع الندم.**
- **اسمعي يا بنيتي**

قالها بتقطع

- **أسمع ماذا، فتاة بعرسها لا ترى والدها العاق إلا في ليلة فراق بيتها ويأتي الآن يستجدينا للصفح والسماح.**
- **شكرا لكِ، تستحقِ أن تقولي أكثر من ذلك، فلست من عاقك وحدي بل أنتم سبقتم بذلك بعدم معرفتكم مكاني أو البحث عني**

تجاهلت كلماته والتزمت الصمت هذه المرة.

- **هناك أسرار أن الأوان لتعرفي الحقيقة فخالك معتز هو من تسبب في كل ذلك فأنت محاطة بلدغات العقارب وسموم الأحباء كما تظنين.**

غادرت غرفتهـا وتركته ببكائها وفور أن رحلـت حضر خالها على الفور وذهب برفقة سامر إلى الخارج.

- **ماذا قلت لها ألا تهاب حياتك أيها الجبان.**
- **لا أهاب حياتي الآن ولا أي شيء واطمئن غادرت قبل أن تسمع أسراري ولكن سيأتي اليوم وستعرف كل ألاعيبك ولن أتركك تنعم بحياتك بعد اليوم أيها الأفعى.**

نظر إليه في كبر وتفاخر بنفسه وقطع خطوة ثقة إلى الخلف.

- **لن تستطيع الإفصاح عن أي شيء لأنك الآن أصبح كلامك والعدم سواء، هل نسيت أننا نجيد التمثيل كما أجاده غيرنا من قبل.**
- **أعدك يا معتز أن تتذوق نفس الكأس الذي تذوقته.**
- **لا أبالي بهذا الكأس فقد مررت بكل حياة الرفاهية والسعادة على غرار غيري.**
- **الآن حان وقت رحيلك فقد استغرقت وقتا أكثر مما وعدك به ولا تعاود مرة أخري وإلا ستكون في الآخرة حياتك وأنت أدرى بذلك.**

ثم أحتد بكلمته

- **وتذكر من يخالف قواعدي يحظى برفقة دائمة بلا رجعة**

انصرف ولكنه قطع عهد بتحطيم كل الموانع والسدود وتحطيم كل الأصنام وقتل الأفاعي ومحو كل سـمومهم التي ساقوها منها بل وعزم للانتقام ولكن لكل أن أوان ولكل حدث حديث.

تعهد على كشـف غلافهم وفتح كتابهم وعـرض صفحاتهم أمامها وحدها لتعرف أصالة معدنهم وضحالة أخلاقهم.

سرح بخياله حتى أضحت نهايته، فقد انهالت عليه ضربة عصى لم يشعر بعدها بنفسه فاستسلم للوقوع.

******

استيقظ وبدأت الغشــاوة تضح شيئا فشيئا حتى فوجئ بوجودها إنها مريم وبجوارها زوجها يحيى.

- **نظر إليهم فرحا، ماذا حدث لي وماذا أتي بي إلى هنا.**

تكلمت مريم موجهة حديثها لوالدها سامر.

- **لتحكي لنا ما تخبأه بعيدا عن محاصرة الأهل ولنحكم بعقولنا على ما تقول.**
- **نظر إلى يحيى وهم بالتراجع عن الحديث ففهمت مكنونه**
- **اطمئن إنه زوجي ولن أخفى عليه أسراري**
- **ولماذا لم تتقبلي حديثي عندما تحدثت إليكِ**
- **لأني شعرت بحصار خالي معتز لك.**
- **حسنا بنيتي، أسمعيني جيداً, تزوجت والدتك بحيلة من معتز والدك يا يحيى فلقد أراد أن يكسب كل شيء حتى وإذا خسر من حوله ما يمتلكونه وهذا ما يجيده معتز.**

أستغربا حديثه ولكنهم انصتوا له

- **دبر لها ولي لنتبادل الغرام وبالتالي يعرض عليها مساعدتها في الزواج وهو أيضا تساعده بالزواج ولان عاطفة المرأة أكبر من الرجل فهربت مع من تحب.**

تعجبت مريم من حديثه ولكنه لم يعطى لهم الفرصة بالسؤال وتابع

- **اعترف أنني برعت في إجادة هذا الدور وقتها وفرحت كثيرا بكل**

شيء بزواج بلا تكاليف فقط التمثيل بالحب ومباركة بلا تزييف من أخيها وفي الآخر بعض النقود لأنفذ ما يريد وكان الاتفاق أن يكون الطلاق رهن إشارته في الوقت الذي يحدده.

سأله يحيي

- **وما الدافع وراء ذلك؟**
- **أراد أن يكون ميراث والده له وحده فان غادرت والدتك بالطبع لن تسأل عن ارث والدها.**

سألته هذه المرة أبنته

- **ولماذا وافقت على هذا الجُرم؟**
- **وافقت على المشاركة لأنني لن أخسر شيئا بل سأكسب كل شيء ولكنه أشترط لكي تتم كل ذلك لابد من التوقيع على هذه الإيصالات حتى لا أتمرد في يوما ما وكانت الإيصالات بمبالغ مالية كبيرة وبالطبع لا أملك هذا المبلغ ومع ذلك الزواج من أصحاب النفوذ أمنية أدفع فيها حياتي ومستقبلي.**
- **ثم أسترسل بحديثه**

قام هو بمراسلتها عبر شبكات التواصل الاجتماعي كأنه أنا وبدوري أنكــر أنا عند مقابلتهــا كل ذلك وبهذه الطريقة تــزداد جرعة الإعجاب لديها واتفقنا لنبدأ خطتنا أن أنقذه وهو يعزم الغرق وبالفعل قام بذلك عندما نظرت إلي للمرة الأولى.

تعجبــا مريم ويحيــي من حديثــه والقصة التي ربمــا لا تحمل في طياتها الا الكذب والخداع ولكنهم تركوه ليستكمل

– **أدركت بعدها كل شيء فقد كانت الأموال هي الدافع وراء كل ذلك والانتقام فلقد وقفت زينب وقتها مع والدها وأخيها ضد زواجه ممن يحب فعزم أن تقع هي الأخرى برجل من نفس مستوى من أحب وبالتالي يجعلها في نفس المشكلة والمأزق ولكن الفرق أنها تحركها العواطف وهو يحركه الطمع وأشياء أخرى.**

صمت سامر ليلتقط أنفاسه ثم تابع

– **تزوجنا كما اتفقنا بعد محاولات ناجحة منه وأعلمكم أنني ومعتز نجيد التمثيل تماما وهي تحولت فجأة لحية تلسعني تهددني بالمستوى المعيشي بعد أن مكثنا سويا بضع سنوات.**

وصمت قليلا وكأنه يتذكر ذلك الجرح وتابع

– **ولكنني أدركت سر تحول زينب ففي اليوم التالي طلب معتز مني أن أطلقها ووقتها اعترضت بشدة ولكنه هددني بما يحمله من إيصالات وقد أوشى لها بصور احتفظ هو بها لي كانت مع فتاة تصورت معها وأقنعها أنها صورة حديثة وأن أخلاقي مع كل الفتيات، كما أعلمها بزواجي الذي لم يكلل بالنجاح من قبل.**

نظر سامر الى أسفل قدميه وتابع حديثه

استسـلمت للأمر الواقع مشـترطا رؤية ابنتي من فترة لأخرى وافق في بادئ الأمر ولكنه سجنني في نهاية الأمر وأوشي بي لأكون مسجونا مدي الحياة بسـجون أمن الدولة ولولا كثرة من قاموا بحبسـهم مؤخرا والإفراج عنا حتى يتسع المكان لهم لمكثت مدى الحياة

قاطعته مريم

– **ولماذا لم تبحث عنا ؟**

بحثـت عنكم في بيتـي القديم ولكنني لم أجدكـم فذهبت لفيلا معتز فوجدت هذا الفرح وعرفت أنه لكِ، عزمت على الانتقام منه بالأمس فهددني بعد خروجي بالرجوع مرة أخرى لنفس السجن والمهانة المتكررة.

نظر إليه يحيى

– **وكيف لي أن أصدق ما تقول**

– **يمكنك أن تسأل ضابطا هناك اسمه مسعود. ومكانهم معروف سأدون لك العنوان الآن.**

أطّلع يحيى على عنوان القسم والسجن وتحدث إلى والد مريم

– **حسنا سأسأل ولكن دعنا نلتقي بعد يومين مجددا.**

– **لك ذلك.**

نظرت إليه مريم وهي لا تصدق ما تقول

– **وماذا عن والدتي، لن أتطرق للحديث عنها الآن حتى تتحققوا من الحديث عن معتز لأنه هو السبب فيما فعلته والدتك معي.**

******

وقف يحيى أمام عماد صديقه بعد أن أرسله إلى العنوان المذكور

– **أمتأكد أنه لم يكن قيد الحبس.**

– **نعم لم يتم حبسه هنا ولم يحضر وجميع السجلات خلت من اسمه.**

- **تأكد مرة أخرى يا عماد.**

- **متأكد يا يحيى.**

انطلقت ابتسامته وكتمت مريم حزنها

- **إنه يكذب كعادته كما قالت والدتك، ربما يريد الاحتيال علينا.**

- **نعم ولكنني أشعر بالصدق في عينيه هذ المرة.**

- **إننا ممثلون سيدتي نستطيع فعل أكثر من ذلك**

- **أنت يمكنك ولكنني أستطيع تفحص العيون وفهم أسرارها، هناك شيء أجهله يا يحيى، فلما لا يكون والدك رشى هؤلاء الحفنة المرتزقة بطمس هذه الحقائق**

- **إذا وكيف سنعلم أنه تم ذلك.**

- **بالتلميح لوالدك بشكل غير مباشر.**

******

تناول معتز الحلوى والتقط الكأس ليشــرب العصير الذي أحضرته زوجــة ابنه همت بالرحيل عنهما فوقعت علــى الأرض وقامت بعد ذلك متحاملة على نفسها بعد أن ساندها يحيى.

ابتســم لها يحيى وانطلقت ابتســامة من معتــز، ولكنه لاحظ تغير ملامح وجه ابنه فجأة.

- **ماذا بك يا بني؟**

- **أبدا يا أبي تذكرت قصة ذلك الأحمق والد صديقي الذي أضاع حياته**

بين السجون بسبب صمته.

- **ولماذا يصمت يا بني.**

- **لينقذ حياة هذا الوغد صديقي حتى لا يتعرض له من يهدده بأذى.**

- **إنها قصة طويلة يا أبي ولا أريد أن أحدثك بها.**

- **كما يتراءى لك يا بني.**

- **ألف مبارك علي زواجك يا أيها الممثل والمنتج الكبير، سيذكرك التاريخ يا محبوب الملايين بأعمالك الهادفة الحية.**

- **شكرا لك يا والدي.**

قبل أن يهم بالرحيل استوقفته مريم

- **لماذا لم تتزوج يا خالي بعد رحيل زوجتك؟**

نظر إليه وفكر في الرد طويلا

- **حتى لا تتكرر أحداث أتذكرها جيدا بالماضي.**

- **أصابعك لا تتشابه يا خالي.**

- **دعيني أنسى هذا الأمر فإنه ماضٍ لعين.**

انصــرف مغــادرا وانصرفــت معــه حيرتهما فلقــد تأكــد لهم من انطباعات ردوده زيف إدعاء والدها كعادته.

تحول يقينها إلى شك ثم إلى لا شيء.

أحاطها بذراعيها، وهي نظرت إليه وان كانت تمنى نفســها بصدقه وتحدثت إلى يحيى

– **هل أدركت الآن زيفه وإدعاءه؟**

– **نعم، ولن افترض حسن النية مع أمثاله مرة أخرى.**

– **أحسنت عزيزتي دعينا نعرف من هذا الرجل والدك المزيد من حكايته**

تعجبت من قوله

– **أي رجل!**

قالها مفاجئا إياها مرة أخرى:

– **والدك**

– **والدي يقول الكذب ووالدك لم تظهر عليه أي شكوك.**

بالعكس فثباته هذا هو ما أقلقني وجعلني أتيقن من صحة أقوال والدك فلو الأمر لم يعنيه لسأل على المزيد من التفاصيل بتلقائية شديدة ولكن الأمر أحث أنه يخصه ويعنيه بشدة فأثر غلق الحديث فيه تماما حتى لا تلاحقه هذه الذكريات.

نظرت إليه وصفقت بشدة

– **صدقت، كيف لم أنتبه لذلك**

******

وقفت زينب سارحة بخيالها لترسم صورة ماضيها التي تود أن تمحيه وكيف لها أن تقع خاضعة لتمثيله الزائف.

وقفت لتكشف كل ألاعيبه التي احتال هو بها عليه فتارة يتحجج أن طبيعة شغله تحكم عليه الغياب المتكرر وتارة أخري كان هناك فرح لصديقي والأعجب أنه يجيد الادعاء وهي تصدقه دوما ولكن بدأ الشك يزادا يوما بعد أخر فمنذ اللحظة التي وشى معتز بان سامر متزوج من أخري وهي لم تصدقه وقتها ورغم ذلك تعقبته ونشأ بعدها العتاب والخصام وسرعان ما تلاشي أمام اعتذاره وهديته المعتاد لها من الورود وخلافه ولكن في ذات مرة أحضر بالفعل لها الورود ولكن الكارت كان يحمل قلبا غير قلبها اسما غير اسمها حياة أخرى غير حياتها فقد كان مدونا تحت الكارت تقبلي عذري يا منى.

أدركت وقتها مأساتها وكتمت في داخلها ثورة غضبها لتكتشف كل ألاعيبه وراقبته حتى كانت بالمواجهة في اللحظة التي لم يتوقعها فقد كانت منى بجواره يتبادلان الحب والغرام وهي تتبادل أيضا الحزن والألم وأرادت أن يتجرع هذا الكأس فطلبت الانفصال وتعاهدت بالانتقام منه.

تذكرت عندما هاتفت أخيها معتز فحضر مسرعا على الفور، وضمها إلى صدره ماذا حدث لك أخيتي.

الجبان النذل يسهر مع أخرى ويتبادلان العشق والغرام، لم يجد سامر نفسه إلا راجيا صفحها متوددا لتعفي عما سلف ولكنها صممت على الانفصال الآن فكيف تكون حياتك مع غيري وأنا من تركت حياتي ورفاهيتي لأجلك أهكذا يكون الجزاء.

– **طلقها أيها الحقير، ضحت من أجلك وأنت لم تفعل، تعاهدت علي حياة جديدة أنت هدمتها، أمثالها لا يصلحون لأمثالك.**

– **لا تتحدث أنت على الفضيلة.**

قالها والغيظ دفعه يرفع يديه ليطلق صفعته إلى معتز ورحل.

بعدها مضت السنوات دون خبر عنه حتى علمت من معتز انه رحل إلى الخارج للعمل وعرف ذلك من صديقه.

مـرت ذكرياتهـا أمامهما تارة بالسـعادة والـزواج وأخري بالحزن والفراق.

تذكرت كلمات صديقتها "الحياة قصيرة تحيطها الأحزان والسعادة فيهـا عابرة والأمل يـزداد بالإرادة وينعدم باليأس، ربما سـعادة اليوم سـبب حزن الغـد وهكذا تمر الأيـام وتتبدل الأدوار بجيـل يعقب جيل وطباع تختلف وتكنولوجيا تتحدث باسـتمرار ولكن طوبي لمن واكبها ولم ينكرها، من فهمها عبر ومن تعثر سقط بين براثن أحزانها.

أرادت أن تكون ابنتها مريم بالجوار تبث إليها شكواها لعلها تخفف من أوجاعها ويتبدل حزنها إلى سعادة.

******

أنطلق يحيي بسـرعة لـم يعتاد عليها من قبل تكاد السـيارة تقتلع الطريـق وهي بجواره تحـاول تهدئتـه وتخفيف السـرعة ولكن ربما الحقيقـة الغائبة تحمل في طياتها الكثير فتسـتمر بالبحث ثم البحث وفجأة تتمني أن هذه الحقيقة تصبح سراب أو أضغاث أحلام.

وصلـوا إلى المكان الذي حـدده والدها بالمكالمـة التي أجراها مع يحيي، جلس بمصاحبتها لينتظر تفسير لهذا المجهول.

نظرت تتأمل هذا المكان الذي لا يليق بمكانتهم الاجتماعية ومستوي الرفاهية المحاط بهم.

ورشـة تزدحم بالسيارات المتهالكة ويبدو أن أصحابها فقدوا الأمل في أن تعود سيارتهم لهيئتها بعد كمّ الحوادث التي قضت عليها تماما، فباعوا سيارتهم لصاحب هذه الورشة،

انتظـروا أن يأتـي فقد مـر وقتا طويلا وهـم لا زالوا فـي الانتظار يتشـوقون للسـماع للمزيد من الأسـرار التي أخفاها معتز عنهم ولكنه تغيب عن الحضور.

وفـور أن هموا بالرحيل وجدوا ورقة صغيـرة برفقة صبي أعطاها لهـم، حاولوا معرفة مكانه مـن الصبي ولكنه أعلمهم انـه أعطاه هذه الورقة ورحل.

فتحوا الورقة فوجدوا كلمات مختصرة.

"لن أسـتطع الحضـور الآن فانتظروني بالغد" وفـي الغد ينتظروا وتتكرر الرسالة حتى تأكد لهم زيف ادعاءه وبعدها اختفى عن الأنظار تماما.

******

استسـلم معتز إلى الفراش ليأخذ قسط من الراحة فقد عزم على أن يكون الغد اليوم المنتظر للكشف عن الحقائق التي أخفاها عنهم لفترة كبيـرة من الزمن، ليس خوفا منهم ولكنه حتى تبقي حقيقة واحدة أنه هو المنتصر على كل خصومه بل وهو من رسـم بيده الحقيقة الكاملة

منتصرا على كل خصوم الماضي والحاضر.

عـزم علــى أن يخطوا بيــده مذكرات جديــدة "الآن أتكلــم" بعد أن يواجههم بالحقائق متذكرا مذبحة المماليك عندما كان طالباً فعزم على تكرارها ولكن بعيدا عن الأنظار وبصورة حديثة تواكب هذا العصر.

******

الفصل الأخير

الحقيقة

سـألني صديـق منـذ فترة لمـاذا نريد دومـا أن نعـرف الحقيقة؟ فتعجبت من سـؤاله ولكنني أجبت ألا تدري أنه الصدق الذي يتعارض مـع الكذب وكذلك الواقع الذي يتعارض مع الوهم فنظر إليّ ولم ينطق إلا بجملة واحدة لازلت أتذكرها.

– **«أتدري أن هذا الوهم والكذب هم مصدر سعادة العديد من البشر حولك فأدركت وقتها لماذا لا نبحث عن الحقيقة».**

وقـف معتـز متفاخرا أمامهم وقـد جمعهم ليقـص عليهم ما خفي عنهم طيلة هذه السـنوات، تجـول بنظره بينهم يرمق أحدهم بالغضب والآخرون بالرضا.

شكرهم لاستجابتهم لحفلته الاستثنائية ربما خدعهم لافتتاح شركته الجديـدة في مكانها البعيد وتحجج أنه ود أن تكون هذه الحفلة عائلية جدا، ولكنها كانت جلسـة عائلية لكشف ما خفي عنهم بإرادته ولكتابة أسطر جديدة من الحقيقة المطلقة الواحدة.

أراد أن يزيل عنه هذا الكابوس الذي يراوده متصنعا نهاية حتفه له ولهم، معتقدا أنه سـينعم بخلود مريح فقد تذكر دعاء أحد المارة ذات يومـا يرجو الله أن يقبض روحه ليريحه من هذا العناء، فتعجب وقتها ولماذا ينتظر وهو يستطيع أن يتسبب في قتل من يسبب له العناء.

******

نظـر إلى يحيـي فهل به يبدأ أم يحتفظ بقصتـه للنهاية ليفخر بها ولكنـه أراد فقـط أن يوجه رسـالته إليـه بنظرته التـي حاطته لبرهة مـن الوقت يعلـم أنه ليس وحده من يجيد التمثيـل، فأنت تجيده بفيلم

ومعلومة وأنت تمثل أمام الجميع وهم يعلمون ذلك ولكن أن تمثل واقعا لفترة زمنية كبيرة وكل من حولك يصدق تمثيلك ويسـعي لمشـاركتك البطولة وأنت تختار بينهم فهذا هو قمة المجد.

صدق من قال إن الحياة تمثيلية كبيرة ولكنه لم يعيش هذه التمثيلية مثل ما عايشته أنا بحياتي وخداعي لكل من حولي.

اجتمعوا يهنئونه بشـركته ووقـف يتقبل التهاني وتوسـط الصالة وكأنـه يخاطب جمهورا عريضا في أجمل بهو وسـجادة حمراء أوصى بها لتكون في استقبالهم.

– **شكرا لحضوركم وتلبية دعوتنا الكريمة والحقيقة أنها ليست دعوة لافتتاح شركة بل دعوة لكشف حقائق لم تعلموا عنها وحان الوقت قبل رحيلكم عن دنياكم لتعلموها حتى إذا رحلتم لازمتكم السكينة والوقار والرحمة.**

نظـر الجميع متعجبين من تغيـرات الأمور، فهل معتـز فقد عقله، تهامسوا بينهم حتى تحدث مقاطعا هذا الهمس.

– **لا أدري بأيكم أبدأ ولكنني أفضل أنا أبدأ بزينب أختي وحبيبتي التي أحببتها منذ أن رأيتها ولكن حبي للمال والتمثيل طغى على حبي لها وسأقص عليكم الحقيقة الأولى**

ذُهلت زينب هل جُنّ أخيها

– **أتدري يا زينب أنكِ ليست أختي ولا يوجد بيننا أي صلة قرابة، نعم أحببتك ولكن حبي للمال يفوق حبي لك وأيضا حبي للتمثيل وخوض تجربة الأثرياء طغت على أي تجربة.**

نظرت إليه زينب حاولـت الاقتراب منه لتصفعه ولكن يحيى منعها ورجعـت لالتـزام مكانها ليعلموا مـا يخفيه هذا الأحمـق عنهم، بل ما يخفيه هذا الممثل عنهم.

– **أتعلمين يا زينب أن زوجك هو صاحبي بل أكثر من ذلك ولكني سأقص عليك حقيقته في آخر هذه الليلة المباركة كما في ليالي الأوسكار البانورامي وهم يكرمون البطل لحسن تمثيله وإدعاء زيفه على الناس فربما حمل رسالة، هدفه، ولكنه ربما أيضا حاطتها السموم لتبخ في الحاضرين فتؤثر فيهم ويتغنون بإبداع هذا البطل،**

ثم أشار لنفسه

– **أنا من يستحق الأوسكار الليلة لأنني أمضيت السنوات أخدعكم وأنعم بأموالكم.**

نظرت إليه زينب بغيظ وغضب لم تعتده من قبل وسألته:

– **إن لم تكن أخي فأين هو؟**

سـرح معتز بخياله وهـو يتذكر تلك اللحظات التـي جمعته بأخيه والتفت إليها قائلا:

– **صدقا لا أعلم أين أخيكِ ولكن كل ما أعلمه أنكم أعلنتم بأحد الصحف القومية الكبرى في يوما ما عن فقدكم إياه ونظر أخي إلى صورته فلاحظ أنها تشبهني فعرض علي أن أقوم بهذا الدور مقابل الحصول على مبلغ مالي نظير ذلك.**

صمت معتز وكأنه ينتظر من الحضور التصفيق ثم تابع

– **بعدها يكون الهروب والظفر بالمال والعودة، اعترضت في البداية على قرار أخي وأرجأت الأمر معه ولكن وسط إلحاح وافقت على عرضه واشترطت أن تكون نسبتي من هذه الخدعة ستين بالمائة، اعترض في بداية الأمر ولكنه وافق وذهبنا إلى العنوان المحدد فلم نجد شقة كما توقعنا فسألنا المارة عن شقة صاحب الاسم فكانت الإجابة**

– **تقصد صاحب هذه الفيلة التي أمامكم.**

انتابنا الذهول وطغت علينا علامات الابتسامة ونظر كل منا للأخر.

– **يبدو أننا محظوظون أخي.**

وبالفعـل ذهبنا إلى والدك وفرح وقتها وأقام حفلة كبيرة ونال أخي مبلـغ مالي لـم يكن يتوقعـه وددت وقتها لو أخطف الأمـوال من يديه وأطير بها ولكن الشكوك من والدتك هي التي جعلتني أفكر في التراجع عن الادعاء ولكنني عزمت على التكملة.

قاطعه يحيى باستنكار.

– **وكيف تقبلوا وجودك بينهم بهذه السهولة؟**

– **تعذرت بعدم التعرف على الجميع لفقدان مؤقت بالذاكرة وهم قبلوا بذلك إلا والدتي ولكني لاحظت أنها بدأت تتقبل وجودي مع الوقت بعد أن وجدت السعادة محاطة بهذا البيت فطردت كل الشكوك وتحججت وقتها أن نبرات صوتي تغيرت أثر حادث حدث لي منذ أيام وتعافيت منها**

ضحك معتز وتعالت أصواته

– كان أخي قد تدبر أوراق إثبات ذلك عند طبيب يعرفه تماما وقضيت اليوم الأول برفقة زينب لتحكي لي تفاصيل الفيلا ولا أخفيكم كرهي لمحمود وكانت هذه بداية تعلقي بزينب.

صمت قليلا ليلتقط أنفاسه وتابع حديثه

– مرت الأيام وفي الموعد المحدد غادرت الفيلا كما اتفقت مع أخي ووقفت أمامه معلنا له « احتفظ بهذه الأموال لك ولكن بشرط واحد».

سألته مريم

– وماذا كان الشرط؟

– أن ينسى أنني أخوه، فقد عزمت على أن أتواجد بالفيلا مدي حياتي لأنعم بهذا الترف وبالفعل فرح أخي بذلك جدا فقد كان مثلي تماما يحب الأموال حتى لو كانت تنسيه والداه وأخوته.

نظرت زينب إليه

– ومن يكون هذا الرجل؟

انطلقت ضحكة مدوية وقهقه كاد أن يقع من كثرة الضحك

– أنت تعرفينه جيدا!

نظرت إليه باستغراب شديد!

– من يكون؟

– سامر المصري زوجك وهذه هي الحقيقة الثانية

تعجب الجميع وهتفت زينب

– مستحيل.

– معكِ حق أن تقولي مستحيل فهو أيضا يجيد التمثيل مثلي، أتدري كنت أتألم عندما تزوجت أنتِ منه.

– وماذا دفعك لفعل ذلك.

– بالطبع بعد أن اتفقنا على أن يرحل بلا عودة وينسى أن له أخ ووافق إلا أنه فكر في الأمر مرة أخرى ورجع بعد عدة أشهر معترضا على الشرط الذي وافق عليه، قمت باصطحابه للخارج.

– ماذا تريد؟

– أريد الزواج؟

– ألف مبروك، وما علاقتي بهذا الأمر فهو يخصك وحدك؟

– ولكنني أريد الزواج من صاحبة هذه الفيلا

– تقصد من؟

– زينب

– أجننت!!

هممت وقتها بالانصراف إلا أنه امسكني من تلابيب قميصي

– إذا أنت من اخترقت الشرط.

فكرت طويلا فقد أحببتها ولكن النعيم الذي عايشته لن أتنازل عنه بهذه السهولة ووافقت بعد تفكير ولكني املك حيل أخرى.

– ستساعدني ولو فشلت الزيجة سأعلن أنك أخي، حتى لا تتحايل بألاعيبك.

أستكمل معتز

– **صدقا أخي كان دائما أذكى مني ويجيد التخطيط ويعلم ماذا يفعل ولكنه كل ذلك يجيده في الشر لا الخير وبدأنا نخطط وقمت بعمل حساب على الفيس بوك سامر المصري وادعيت أنني أغرق**

ثم نظر الى زينب

– **حتى حلمك وعندما أبلغتك أنني حلمت بنفس الأمر فقد كنت كاذبا وقتها لأنك قمتي بكتابة ما تمت رؤيته برسالة عبر الفيس بوك وكنتي قد جهلت ملامح الشخص ولكنني أنا من وصفت لك ملامحه، كنت حريص على زواجك منه حتى لا أفقد هذه الفيلا وحرصت على الزواج من سعاد لأنها علمت السر الذي أخفيته.**

ثم تابع

– **فكان الزواج بمثابة عربون للسكوت ولكنها بالطبع تمردت فماتت وكانت هذه أول جريمة قتل أرتكبها ووقتها أعلنت اختفاء ابني ومثلت بالبحث عنه ولكنه أيضا كان في تعداد الأموات.**

نظر إليه يحيى يملؤه الغضب ومسكه من عنقه لولا تقدم حارس معتز لينزع يده من عنق سيده ولكنه أطلق صرخته العالية

– **من أكون أيها المخادع؟**

زادت ضحكته عالية

– **ممثل تخرج من الملجأ ليجد من يضحك عليه وأشار لنفسه بفخر وإليكم الآن يا سادة الحقيقة الثالثة « يحيى ليس ابني « واعترف بذكائه في أنه رفض إعلان أبويتي لتفضيله أن يكون هو يحيى**

المصري

نظرت مريم وكانت تتمنى لو تُسارع في قتل هذا الكاذب فتجاهل نظراتها مستكملا حديثه.

– **أتدرون لقد تمت سرقة بعض النقود من الخزانة ونقل والدي على إثر ذلك إلى المستشفى مصابا بأزمة قلبية وكانت الأموال بالطبع كثيرة ولكن الأحمق تجاهل أموال أخرى كانت بباب سري لو فحص الخزينة جيد فسيجد نقودا بالدولار يستطيع أن يأخذ منها متلاشيا النقود المصرية وثقل الحمل.**

لم يكتم يحيى تعجبه فقد أدرك كم هو أحمق ليتغافل عن ذلك

– **ذهبت للتدقيق ووجد هذا الباب ففتحته لأجد أموال بالدولار ويبدو أن والدي احتفظ بها للأزمات التي تحدث من تارة لأخرى بالبنوك, بالطبع كانت فرصة لاحتفظ بها في الحقيبة التي أحملها كحقيبة عمل ودونت هذه الأموال ضمن المفقودات المسروقة وبالفعل قد تم ذلك , وفور أن أبلغت والدي ازداد المرض عليه ولم يتحمل ذلك وتوفي بعدها بيومين.**

رمقته نظرات الحضور بالغضب ولكنه تجاهلها وتابع

كانت وثيقة الميراث كما توقعت كلها من نصيبي فقد رحلت والدتي وتوفى أخي رحمه الله بعدها في حادثة طريق ولا أخفي عليكم أنا من اصطنعت الحادثة فالأمر بسيط جدا بحكم عملي كميكانيكي سابقا للسيارات وأصبحت قضاء وقدر وتوفي محمود بالفعل.

نظرت إليه مريم ترمقه بكل نظرات الحقد والغضب

– **وماذا عن والدتي، أليس لها نصيبا من هذا الإرث؟**

نظر إليها ضاحكا

– **بالطبع ليس لها نصيب فلقد ساعدت زينب بالزواج قبلها ليس طوعا لأخي سامر واستجابة لرغبته وجنونه بل لأنني أدركت أن هذا الزواج سيغضب والدي جدا،**

نظرت إليه زينب باحتقار:

– **وكيف أقنعت هذا المسكين أنه ابنك؟**

لم تتوقف ضحكاته ونظر إليها مسترسلا:

– **أقنعت يحيى عندما قام بزيارتي أنه ابني والأمر بسيط جدا، ففي حادثته التي فشل رجالي بقتله.**

نظر الجميع إليه مشدوهين من هول الصدمة فقال يحيى

– **أأنت من دبرت قتلي، كيف تحمل نفسك هذا القدر من الخسة والوضاعة؟**

تجاهل سؤاله ونظراته النارية وتابع حديثه قائلا:

– **لقد تتبعته بالمستشفى وانتظرت بالخارج وبالطبع كنت أسأل عليه بصفة مستمرة لأطمئن عليه وأرسلت الشرطي وبالتأكيد هو لم يكن كذلك قام بجمع محتويات يحيى والاطلاع عليها وبالطبع أطلعني علي ذلك فأدركت أن هذه الصورة بالتأكيد له ولوالده وبالطبع صورة والده وهو صغير تختلف عني تماما**

ضحك معتز أستهزاءا بالحاضرين وتابع

– **أخذت الصورة وبدأت أفكر ماذا أفعل فقمت بعمل صورة مماثلة تماما له وحده وعندما يأتي لزيارتي سأقنعه أن هذا أنا وأن اختلاف شكلي بسبب عملية تجميل قمت بها فقد كان ابني يحبني جدا بسبب اصطحابه معي رغم انشغالي بأعمال الشركة.**

نظر معتز إليهم مستكملا

– **باحترافية شديدة قمت بإرجاع الصورة وتسليمها للشرطي الذي أرجعها في اليوم التالي إلى المستشفى وقد كنت حريصا على ألا يتلاقى بالضابط الذي أرسلته الشرطة ففور أن رأيت الضابط اصطحبت إياه إلى مكان الحادثة متحججا ربما القاتل ما زال هناك وتأكدت من عدم ذهابه للمستشفى إلا في اليوم التالي.**

تابع يحيي

وبعد ذلك نجحت يا مخادع ان تجعلني أصدق زيف ادعائك

ضحك معتز

– **رأيت يا يحيى كما أنا بارع في التمثيل وفرض إرادتي على الجميع، دائما أفضل أن أكون أنا البطل والممثل والمخرج ولكن الفضل كله يرجع لأخي سامر معلمي وأستاذي وهو من دلني على هذا العالم من الجريمة والتمثيل والرفاهية أيضا.**

– **أتدرون أين سامر الآن؟**

رد معظمهم وان كان الشك يحيط بيحيى حول وجوده

– **لا**

– **إنه ينعم بصنوف العذاب بين رجال أمن الدولة بسبب أرائه**

المتشددة والمتعصبة والانقلاب على الحكم, بالطبع هو لا يعلم أنني من أبلغت عنه وودت أن يكون هنا الآن لأن الحقائق السابقة يعلمها تماما عدا طبعا حقيقة يحيى

- **ردتت زينب**

- **أنت من سجنته**

- **نعم ولكنني تفاجئت بخروجه من السجن مؤخرا فذهبت إلى الضابط لأتوسط لإعادته مرة أخرى للسجن ملمحا أن المقابل المادي سيتضاعف وبالتأكيد وافق على ذلك ولكن طلب مهلة يومين حتى يتسنى وجود مكان له،**

نظر إليه يحيي متعجبا

- **لماذا لم تقتله إذا بدل من تعذيبه في سجون أمن الدولة.**

- **وماذا لو فشلت في قتله وهو يجيد المراوغة.**

ثم نظر إلى يحيى مطلقا لضحكاته العنان وتابع حديثه:

- **هل تعلم يا يحيى أنني رأيت حديثه معكم فاحتجزه رجالي حتى يكون في ضيافة رجال أمن الدولة وطّبعت الرسالة التي قرأته أنت بصحبه مريم وبالفعل تيقنت من تصديقكم الرسالة وبعدها ستقتنعون بزيف إدعائه وخصوصا أنني رتبت الأمر مع الضباط لمحو اسمه من الدفاتر وتبديله باسم آخر في حبسه الأخير.**

توقفت ابتسامته وضحكته وتغيرت معالم وجهه تماما وصمت لبرهة وفجأة تعالى صوته ونبرته على غرار ما مضى:

- **إليكم الحقيقة الخامسة، أنا من كنت وراء طلاق زينب وبالطبع**

أخفت زينب أمر طلاقها عن مريم،

صمت فجأة عن الحديث وكأنه ينتظر ردة فعل زينب ولكنه لم يجد منها أي انفعال أو تعجب وكأنها اعتادت على تلقي الصدمة تلو الأخرى فعقب بحديثه:

- **بالطبع أخي سامر كان متزوجا قبل زينب امرأة أخرى وأخفى عليها ذلك ولو علمت بالأمر فبالطبع ستكون نهاية ارتباطه بها وكنت أنا الوسيط لكي يعلمها بمكانه , فأرسلت أحد رجالي ليخبرها بالأمر وبالفعل طلبت الطلاق منه وهو تمرد على ذلك ورفض ولكنه قبل بنهاية الامر بعد جرعة من التعذيب.**

ود يحيى لو يقطع حديثه معلنا نهاية هذا الوغد ولكن الحراسة الشديدة حوله منعته من ذلك فأستكمل حديثه وسط حراسته.

مرت السنوات وتوفي أخي محمود وعلمت هي بالخبر عبر الجرائد فحضرت العزاء وبعدها كنت أطمئن عليهم بصفة مستمرة ووقتها تجنب أبي الحديث معها بل وطردها.

سكت معتز لحظة ربما يسترجع بعض الذكريات، ولكنه نظر إليه يحيى يرمقه بنظرات غاضبة متحديا إياه ومتحدثا:

- **أتظن أنك وحدك من يمتلك الحقائق ويتحكم فيها، أتدري أن هذه الحقائق رغم ما تحمله من ألام لأصحابها إلا أن المتألم الأكبر هو أنت، تقنع نفسك بالبطولة والعبقرية وكل الصفات الحميدة ولكنك تدرك أنك بالفعل الخاسر الأكبر فقد خسرت نفسك وبعدها خسرت عائلتك وكل ما ذكرت من إدعاءات سواء كانت كاذبة أو صادقة فأنت المتألم الأكبر منها، أتدري من ساعدك في أن تنال وتسرق**

أموال والدك؟

نظر إليه معتز باستغراب شديد،

– **نعم أود أن أعرف لأشكره**

نظر يحيى إلى جميع من حوله وكأنه متردد في التحدث ولكنه أطلقها قوية:

– **أنا**

كانت الإجابة صادمة للجميع ولكن يبدو أن معتز توقع إجابته.

– **ذهبت إلى معظم الشركات بعد أن رحلت من الملجأ بحثا عن وظيفة وفور أن يعلموا بحقيقتي يرفضوا عملي حتى التحقت بشركة والدك وكما اعتد دوما احتد على موظفيه فطلبت مقابلته فاحتد النقاش بيننا فعزمت على أن اسرقه ليكون عبرة.**

رمقته نظرات مريم بغيظ وكأنه تعاتبه ولكنه تجاهلها وأستكمل

– **وقمت بسرقة الفتات ولم أعلم بوجود الدولارات ولو علمت بالطبع لسرقتها وشاركت زميل لي بتجارة الأوراق المالية ثم افتتحت شركة الإنتاج الهادف، ورغم أنني غني الآن ولكنني أكره ما فعلت بل وفي بعض الأحيان أعنف نفسي التي دوما تبرر لي فعلتي إلا أنني أود التخلص من الماضي وآلامه.**

انتبه الجميع على صوت أتى من خلفهم جميعا والتقت الأنظار إلى مصدر الصوت وتسّمر معتز في مكانه من هول المفاجأة التي لم يكن يتوقعها وكيف هرب من السجن وحضر إلى هنا، كان هذا الصوت لسامر المصري معلنا البداية للحقيقة الأخيرة وتعهد لهم بعد

أن يعلموا بالحقيقة الكاملة أن يلتزم الصمت طيلة حياته فهو من صنع هذا الفرعون القاتل معتز بحاشيته التي حوله.

تجول سامر بنظره ما بين زينب وابنته مريم وأخيه معتز يتجرع آلامه ويتذكر أيضا سعادته.

– **ما أردت أن أطلق زوجتي زينب مطلقا ولم أدرِ أين كنت عندما اقتدوني رجال الشرطة إلى تلك العتمة التي لم أر بعدها ضوء الشمس، تعذيب مستمر ومتنوع وطبيب يفحصك بشكل مستمر وكأنهم اتفقوا على تجربة كل أنواع التعذيب على هذا الجسد الواهن كنت لا أملك في زنزانتي إلا الكتابة على أسوارها.**

أنتاب سامر نوعا من الحزن ولكنه تابع

– **أتذكر في يوم اشتد على التعذيب فركنت إلى الجوار وكتبت على الحائط رسالة إلى أمي التي لم أراها «عجبا يا أماه تركتنى وما وجدت بعدك من يسمع همي ويحمل عني أوجاعي ويخفف عني من عبق الحياة، أغدو في هذه الدنيا غريبا لم يعد لي سند أو أنيس، تحولت سعادتي لحزن وفرحتي لشجن وأحلامي لأوهام وطموحاتي أصبحت كالسراب كلما اقتربت منها تختفي، ولا أدري من أنا في وسط هذه الحياة»**

نظر إليه الجميع بشغف منتظرين تكملة قصته

– **مرت السنوات علي هذا الحال وبعدها فجأة قرروا الإفراج عني ففرحت فرحا شديدا فقد مكثت بضع سنوات في هذا السجن اللعين وكان وقتها لنا العديد من الوافدين الجدد وأصبح المكان مملوء عن أخره فقرروا التخفيف من العدد فأفرجوا عن القدامى.**

نظرت زينب اليه وكانه تحاول التخفيف عنه بنظراتها

- **لم ينسوا أن يقيموا حفلة خاصة متنوعة حتى لا ننسي أننا كنا بهذا السجن اللعين وخرجنا في منتصف الليل, عزمت علي الذهاب إلى معتز حتى أطالبه بأموال وبالطبع طردني فقمت بتهديده وفضح أمره ولكن وقف مفتخرا بنفسه معلنا بأن اسمه معتز ولا توجد أي أوراق رسمية تحمل اسم مخالف لذلك .**

ثم التفت إلى مريم:

- **حاولت الانفراد بمريم لكي أوضح لها الحقيقة ولكنها نبذتني فكتمت ذلك في نفسي،حتى قبلت في النهاية وزوجها الحديث لأوضح لهما الحقيقة كاملة وبالطبع كنت أعلم نذالة أخي فأعلمت أحد الزملاء بضرورة تتبعي وفي حال اختطافي يقومون بادعاء أنهم من رجال الشرطة ويهاجموا من قاموا باحتجازي**

نظر الى معتز وتابع

- **أطمئن معتز أنه نجح في الإيقاع بي، وبدأت أراقب تحركاته دون أن يدري لأنني عزمت على أن تكون نهايته على يدي وبعدها ألتزم الصمت تماما لأضع نهاية لكل الحقائق التي ذكرها، معتز يملك الحقائق ولكنه لا يستطيع رسم نهاية لها أو كتابتها رغم ما يعلمه من معطيات تقوده لذلك ولكنني سأضع نهاية لكل ذلك.**

قاطعه معتز هذه المرة:

- **النهاية وضعتها يا أخي قبل أن تأتي باختياري فلا يحق بعد كشف هذه الحقائق أن يعيش أصحابها بعد الآن وبالفعل سيكونون في تعداد الأموات.**

أشـار إلى حراسـه يعطي أوامـره بقتلهـم جميعا ولكن سـبقتهم طلقات قناص ماهر حصدت حراسـته شخصا تلو الأخر، نظر الجميع إلـى مصدر الطلقات ليتعرفوا على ماهية مـن أطلقها فظهر إليهم عن قرب ووقف أمام جمعهم ونظر إليه يحيى مسرورا

- **عماد**

نظر عماد إلى يحيى واليهم جميعا

- **نعم عماد الذي أهانه هذا الرجل وقتل والده وسرق أمواله، عماد الذي تجرع كأس الألم والحزن على جرائم لم يرتكبه فقد حان الوقت ليصبح الشك يقين والجريمة حقيقة.**

وقف معتز يكتم أنفاسـه فلـم يتوقع ظهوره وبـات الآن وحيدا ولا يستطع طمس الحقائق كما كان يرتب سابقا، عزم على الفرار والجري ولكـن طلقة عمـاد التي أطلقها كانت أسـرع منه فقتلتـه وجعلت من نهايته هي الحقيقة التي يود معتز الفرار منها.

نظر إليهم سامر

- **لقد حان وقت وفائي بوعدي فانا من تسببت لكم بالألم والشقاء سأظل صامتا ما دمت حيا.**
- **ولكن الطلقات أصابت يحيي وزوجته وكذلك زينب وأسرع عماد باطلاق رصاصته نحو الحارس فقضى عليه فنجا برفقة سامر**

****

لم ينس سـامر هذه الأحـداث التي مرت عليه وعـزم على أن يتغير

للأفضــل ولكــن تأثيــر الأحــداث ووعــوده وتســببه في حياة قاســية لأســرةكانت كل حياتهــا ان تنعم بســعادة ,قرر أن يعمــل ليلا وينفرد بذكرياتــه نهارا، يتمني الموت ولا يلقــاه، امتلأ بطنه من الأطعمة التي يتناولها وهو يتجرع الحياة فيذهب إلى عمله برفقة ضوء القمر ويعود إلى بيته مع ســطوع الشمس منتظرا نهايته « عجلوا بموتي فإنه راحة لأمثالي من أمثالكم»

منفــذا عهــده ووعده الذي قطعه على نفســه في حضــرة أهله فقد قاطعوه بعد معرفة حقيقة خداعة وتمثيله.

******

نظرت إليه مرفقا على حاله ولكن فور أن علمت حكايته من صديقي عماد علمت الآن ما سر صمت هذا الرجل الذي يقابلني كل يوم.

تمت بحمد الله

وليد شعراوي